الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

رثائيات ابن الرومي وبكائيات الخنساء
" دراسة موازنة"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
* نعيمة بوحناش
* لوبنة بوالدبان

إشراف الأستاذ(ة):
فطيمة بوقاسة

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

«الشكر والعرفان»

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بوجودك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

"الله جل جلاله"

أولا وقبل كل شيء نتقدم بفائق الشكر والتقدير إلى التي كانت عونا وسندا لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، أستاذتنا المحترمة " بوقاسة فطيمة".

والشكر الموصول إلى كافة الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بمد يد المساعدة.

قـــائمة المحتويات

قـــــائمة المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الموازنة: النشأة والتطور	
1. ضبط المصطلح	**01**
أ. تعريف الموازنة لغة.	**01**
ب. تعريف الموازنة اصطلاحا.	**01**
2. الموازنات قديما.	**02**
أ. نشأة الموازنة عند العرب.	**02**
ب. أشهر الموازنات قديما.	**04**
3. الحزن في شعر ابن الرومي.	**10**
أ. مظاهر الألم عند ابن الرومي:	**10**
ب. أنواع الحزن عند ابن الرومي.	**11**
4. الألم في شعر الخنساء:	**15**
أ. ملامح الحزن في بكائيات الخنساء.	**15**
ب. أنواع المراثي في شعر الخنساء.	**16**
الفصل الثاني: موازنة بين رثاء ابن الرومي ورثاء الخنساء.	
التقاطعات والقطائع بين رثائيات ابن الرومي وبكائيات الخنساء	**20**
1. التقاطعات(أوجه التشابه).	**20**
أ. على مستوى الشكل.	**20**
ب. على مستوى المضمون.	**27**
2. القطائع (أوجه الإختلاف).	**38**
أ. على مستوى الشكل.	**38**
ب. على مستوى المضمون.	**40**
الخلاصة.	**50**

خاتمة.	**52**
ملحق.	**54**
قائمة المصادر والمراجع	**72**
فهرس المحتويات	**75**

مقدمة:

لقد حفل الشعر العربي على امتداد عصوره بألوان الرثاء الذي ظهرت بوادره منذ فجر الجاهلية، فهو بحر سبح فيه عدد من الشعراء، والرثاء من أهم الأغراض الشعرية القديمة وأصدقها، بل يعد أصدق ضروب الآداب الإنسانية على الإطلاق وأكثرها صلة بالنفس البشرية والتصاقا بالوجدان الإنساني، لتعبيره عن تجربة الحزن والأسى والألم واللوعة عند فقد عزيز أو قريب، وترنح النفس من هول المصاعب وبث اللوعة وتلهب الطلوع وقد تجاوز الراثي في رثائه حد اللوعة والبكاء ليصل إلى التأمل في حقيقة الموت والحياة، وقد كان هذا الأمر أحد أسباب اختيارنا لهذا الموضوع كون غرض الرثاء شامل وكامل ومن أكثر الأغراض استمرارية وبقاء.

وعلى هذا الأساس طرحنا بعض التساؤلات التي تشكلت منطلق هذا البحث من جملتها:

-ما الرثاء؟ وكيف كانت تمظهراته في الشعر العربي؟.

-هل عنيت كتب التراث حقا بغرض الرثاء لذى كل من ابن الرومي والخنساء؟.

-ما مدى تأثير الرثاء في نفسيتهما (ابن الرومي والخنساء)؟.

-ما هي أغلب النقاط التي يلتقي فيها الشاعران وفيما يختلفان؟.

وقد تعددت الدراسات والبحوث حول الخنساء وابن الرومي والتي نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

" قراءة جديدة في مراثي الخنساء"، لـــ: اللامي جبار عباس "، والبديع في شعر الخنساء بين الابتداع والإبداع" لـــ: حسن عبد الجليل يوسف، "ومظاهر الصراع في شعر ابن الرومي" لـــ: نعيمة بوزيدي، غير أن هذه الدراسات لم تسع إلى جمع الشاعرين معا والموازنة بين حزنيهما.

وقد جاءت خطة البحث كالتالي:

مقدمة.

الفصل الأول: الموازنة: النشأة والتطور.

1. ضبط المصطلح.

أ. تعريف الموازنة لغة.

ب. تعريف الموازنة اصطلاحا.

2. الموازنات قديما.

أ. نشأة الموازنة عند العرب.

ب. أشهر الموازنات قديما.

3.الحزن في شعر ابن الرومي.

أ. مظاهر الألم عند ابن الرومي.

ب. أنواع الحزن عند ابن الرومي.

4.الألم في شعر الخنساء.

أ. ملامح الحزن في بكائيات الخنساء.

ب. أنواع المراثي في شعر الخنساء.

الفصل الثاني: موازنة بين رثاء ابن الرومي ورثاء الخنساء.

التقاطعات والقطائع بين رثائيات ابن الرومي وبكائيات الخنساء

1.التقاطعات(أوجه التشابه).

أ. على مستوى الشكل.

ب. على مستوى المضمون.

2.القطائع (أوجه الإختلاف).

أ. على مستوى الشكل.

ب. على مستوى المضمون.

الخلاصة.

خاتمة.

ملحق.

ولقد اقتصرنا في دراستنا هذه على منهج معين وهو المنهج الفني الذي يعتمد قليلا على التاريخ.

وكان من أهم المؤلفات التي اعتمدنا عليها سواء التراثية والمعاصرة، تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، ديوان الخنساء، تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف.

وقد اعترضتنا بعض الصعوبات والعراقيل من بينها صعوبة التنسيق بين المعلومات التي جمعناها، وصعوبة الحصول على المصادر والمراجع من المكتبات.

وختاما نرجو من المولى عز وجل أن نكون قد أعطينا هذا البحث حقه من الدراسة وأن يكون ذا فائدة، كما لا يفوتنا أن نقدم الشكر لكل من ساعدنا في هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذة المحترمة "فطيمة بوقاسة" المشرفة على هذا العمل على المجهودات التي بدلتها في سبيل إظهاره على أحسن وجه وأقيم صوره والتي تستحق منا فائق الاحترام والتقدير.

1.ضبط المصطلح:

أ. تعريف الموازنة لغة:

للموازنة معانٍ متعددة ومختلفة في اللغة والاصطلاح ففي اللغة ضبطها ابن منظور في كتابه لسان العرب على أنها مشتقة من الفعل وزن، وزن الشيء << والوزن ثقل الشيء مثله، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته، أو كان محاديه، ووازنه أي عادله وقابله ويقال وزن فلان الدراهم وزنا بالميزان. وإذا كاله فقد وزنه>>[1].

أما في مختار القاموس فهي من: << وزِنة جمع أوزان، والميزان معروف والعدل والمقدار. ووازنه: عادله. ووزن الشعر فاتزن فهو أوزن من غيره: أقوى وأمكن ووازن القوم أوجههم>>[2].

ويتضح من خلال التعريفين السابقين أن الموازنة في اللغة تقوم على أساس المقايسة.

ب. تعريف الموازنة اصطلاحا:

أما الموازنة اصطلاحا فقد عرفها مجدي وهبة في معجمه المصطلحات العربية في اللغة والأدب بأنها: << المقابلة بين فكرتين، أو أثرين، أو مدرستين أو شخصين في مبحث طويل أو فصل من مبحث، مثال ذلك في الأدب العربي كتاب الموازنة بين أبي تمام (ت 231ه) والبحتري (ت 284ه) لأبي قاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت371ه)>>[3]

ويعرفها محمد بوزواوي في معجمه مصطلحات الأدب بأنها: << نقد مركب لنصين أدبيين أو لموضوعين بينهما شبه قريب، أو بعيد عن طريق التأثر، أو من غير تأثر>>[4].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، (تق خالد رشيد القاضي)، ج15، الدار البيضاء، بيروت، 2006م، ص280.

(2) أحمد الزاوي: مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (د.ت)، ص656.

(3) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص395.

(4) محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر،(د.ت) ص284.

أما زكي مبارك فهي حسبه: << نوع من النقد، وهي كذلك نوع من الوصف، فالذي يوازن بين شاعرين إنما يصف ما لكل منهما وما عليه بأدق ما يمكن من التحديد. فمن واجب الناقد إذا لأن يتعمق في دراسة حياة الشاعر الذي يضع شعره في الميزان، وأن يجتهد في أن يرى الأشياء بعينه، ويدركها شعوره، ليستطيع وزن ما يقول>>[5]

ومن خلال التعاريف السابقة يتضح أن الموازنة هي عملية يقوم بها الناقد الواسع الإطلاع على تاريخ الأدب، والمتمكن من الفنون العامة والمثقف ثقافة كبيرة تؤهله من تناول هذا العمل، وهدفها هو المقايسة بين شاعرين، وهي أيضا مظهر من مظاهر النقد وأصل من أصوله المتبعة في معالجة القضايا النقدية والأدبية المختلفة.

2.الموازنات قديما:

أ. نشأة الموازنات عند العرب:

الموازنة بين الشعراء اتجاه قديم في النقد رافق الشعر مند لحظة وجوده. وقد ظهرت مبكرة في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تسايره على مرّ العصور إلى اليوم وستبقى دائما من وسائله النقدية المعتمد عليها من طرف النقاد، إذ عقدت موازنات مختلفة بين الشعراء على اختلاف عصورهم ففي العصر الجاهلي كانت الموازنات الشعرية موجودة لكنها جزئية، وقيل أن النابغة كان صاحب الحكم النقدي فيها، والحقيقة أنها لا تخرج عن إطار النقد الفني المتصل بعروض الشعر المقررة ويذكر أحمد الشايب ذلك حين قال: << فإذا صح ما روي من قصة أم جندب وموازنتها بين امرئ القيس وعلقمة في وصف الفرس ومن أن النابغة الدبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ، دلنا ذلك على أن الموازنة كانت أساسا المفاضلة منذ الجاهلية، وكانت مدرسة الحطيئة وكعب بن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزوّد>> [6].

(5) زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص23.

(6) أحمد شايب: أصول النقد الأدبي، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1994م، ص280، 281.

فالموازنة إذن كانت أساسا للمفاضلة بين الشعراء منذ القديم ودليل ذلك ما روي من قصة أم جندب حين وازنت بين زوجها امرئ القيس وعلقمة حيث فضلت علقمة، هذا في العصر الجاهلي أما صدر الإسلام فقد شهد هو الآخر موازنات بين القرآن الكريم وكلام العرب وكانت بين شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبائه من ناحية وبين شعراء الوفود العربية وخطبائها من ناحية أخرى، أما العصر الأموي فقد كان <<زاخرا بالموازنة بين الفحول والغزليين والسياسيين من الشعراء وبين الخطباء والأدباء جميعا فخلف لنا ثروة نقدية قيمة على رغم ما تأثرت بالعصبيات والأهواء والأمزجة>>[(7)].

وقد عرف أيضا العصر العباسي موازنات بين الشعراء << فقد بدأ هذا الفن النقدي نشيطا بين بشار بن برد ومروان ابن أبي حفصة، وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس ثم بين أبي تمام والبحتري وبين المتنبي وخصومه، وبين ابن المقفع وعبد الحميد، وبين البديع والخوارزمي وبين الفلاسفة وعلماء الأدب ورجال الدين والفن وبين الشعر والنثر والخطابة والكتابة واللفظ والمعنى وبين الفكرة والفكرة والخيال والخيال وبين الأشياء والأحياء>>[(8)]، والعصر الحديث كباقي العصور عرف هو الآخر الموازنات حيث كان << يتخذها أساسا لأبحاثه نزولا على طبيعة الدراسات في أصح أوضاعها وأقوم سبلها>>[(9)] ففي هذا العصر تقوم الموازنة على حسب طبيعة الدراسات للحكم على المواضيع بطريقة صحيحة وتقويم الرديء.

أما من الناحية التاريخية المتعلقة بالتدوين نجد أن محمد بن سلام الجمحي (ت 231ه) من أسبق من تحدثوا عن الموازنة في كتابيه طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، حيث قسم الشعراء إلى طبقات، وهذا التقسيم قائم على الموازنة الفنية التي ترجع إلى أساسين وهي كثرة الشعر وجودته، بالإضافة إلى ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" حيث

(7) أحمد شايب: أصول النقد الأدبي، ص281.

(8) نفسه، الصفحة نفسها.

(9) نفسه، الصفحة نفسها.

ظهرت الموازنة عنده في اختياره لكل شاعر يراه جيدا، وكذلك نجد موازنة الآمدي التي هي موازنة منهجية في ناحيتيها المختلفتين: ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص.

لقد عرفت الموازنة مند القديم مواكبة في ذلك حركة التطور والتحضر عبر مختلف العصور فقد كانت بدايتها الأولى عبارة عن أحكام عفوية ثم تطورت لتصبح نوعا من أنواع النقد الأدبي.

ب. أشهر الموازنات قديما:

فُطر الناس على حب المفاضلة بين الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، والموازنة من بين الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد، وقد ظهرت هذه الفطرة واضحة جلية حين ظهر الشعر، وتبارى في قرضه الشعراء. وليست الموازنة إلا ضربا من ضروب النقد. يتميز بها الرديء من الجيد وتظهر بها وجوه القوة من الضعف في أساليب البيان فهي تتطلب قوة في الأدب، وبصرا بمناحي العرب في التعبير، ومن الموازنات المعروفة قديما:

- **موازنة أم جندب:**

وازنت "أم جندب" بين زوجها امرؤ القيس وعلقمة الفحل عندما ادعى كل منهما أنه أشعر من صاحبه فقالت لهما: << قولا شعرا على روي واحد، وقافية واحدة، تصفان الخيل ففعلا ثم أنشداها، فقضت لعلقمة على امرئ القيس>> (10)، وهذا لأن امرأ القيس يقول:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مِنعبُ(11)

وعلقمة يقول:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلّب(12)

(10) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ص25.

(11) نفسه، ص26.

(12) نفسه، الصفحة نفسها.

ومن خلال هذين البيتين حكمت "أم جندب" لعلقمة على امرؤ القيس لأن فرس زوجها بطيء لا يسرع إلا إذا ضُرب بالسوط أو أثير بالساق ويهيج له بالزجر والصياح أما فرس علقمة فسريع نشيط لا يحتاج إلى ضرب بالسوط أو صياح فهو في عدوه ينصب في السير انصباب الريح.

فإن << صحت هذه القصة كانت لها دلالة كبيرة في النقد الأدبي، فأم جندب تريد مقياسا دقيقا تستند عليه في الموازنة: هو وحدة الروي، ووحدة القافية، وحدة الغرض. وهذا يكفي لأن يكون أساسا من أسس النقد في العصر الجاهلي، وهذا يكفي دليلا على أن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة وفطرة بل كانت له أصول يعتمد عليها >>[13].

فهذه القصة لها أهمية كبيرة في النقد العربي باعتبار "أم جندب" قد وضعت مقاييس دقيقة يعتمد عليها أثناء الموازنة بين الشعراء من خلال وحدة الروي والقافية ووحدة الموضوع والغرض.

- **الموازنة بين عمر بن أبي ربيعة وامرئ القيس:**

أجرى رئيف خوري موازنة بين امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وتوصل الباحث إلى أن الشاعرين يختلفان في بعض الخصائص ويشتركان في بعضها.

فامرؤ القيس يقول:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل[14]

ويقول عمر بن أبي ربيعة:

قليلة إزعاج الحديث يروعها تعالي الضحى لم تنتطق عن تفضل[15]

(13) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي، ص26.

(14) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي، ط1، دار دجلة، عمان، 2008م، ص113.

(15) نفسه، ص117.

من خلال هذين البيتين هناك اختلاف في نمط العلاقة بالمرأة عند الشاعرين، فهي عند الأول وسيلة اللذة، أما عند الثاني فهي رفيقة معززة، ويرى رئيف خوري <<أنهما يختلفان في التجربة الشعرية، ويختلفان في الأمور البيئية والحضارية الأدبية، فبيئة عمر غير بيئة امرئ القيس إذ عاش في مدينة متحضرة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وتحت رعاية دولة إسلامية وفتوحات إسلامية، وتزاوج ثقافي، في حين عاش امرؤ القيس في بيئة صحراوية وتحت حكم شعور قبلي، ودين وثني، وثقافة محدودة ضيقة ومجتمع صغير منغلق>>(16). فالباحث يرى أن الشاعرين يختلفان في التجربة الشعرية بالإضافة إلى اختلاف بيئة كل واحد منهما فبيئة عمر متحضرة وبيئة امرؤ القيس صحراوية وتحت حكم شعور قبلي وعلى هذا الأساس وازن بينهما.

أما فيما يخص الأسلوب والخصائص الفنية فهناك تباين واضح بين الشاعرين وهذا ما يُلاحظ من خلال هذه الأبيات.

يقول امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خبائها   تمعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا   علي حراسا لو يسرون مقتلي

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها   لدى الستر إلى لبسة المتفضل

فقالت: يمين الله ما لك حيلة   وما إن أرى منك الغواية تنجلي(17)

ويقول عمر بن أبي ربيعة:

وليلة ذي دوران جشمتني السرى   وقد يجشم الهول المحب المغرر

فبت رقيبا للرفـــــاق عليّ شفــــــــا   أحاذر منهم من يطــوف وأنــــظر

(16) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي، ص114.

(17) نفسه، ص117.

وخفض عني الصوت أقبلت مشيه الـــ حباب، وشخصي خشية الحي أزور

فحببت إذ فاجأتـــــــــها، فتـــولهت وكادت بمخفوض التحية تجـــــهر

وقالت وعضّت بالبنان: فضحتني وأنت امرؤ ميسور أمــرك أعسرُ(18)

ففي هذه الأبيات ألفاظ امرؤ القيس غريبة فيها غموض، أما ألفاظ عمر تتسم بالدقة والتسلسل، بالإضافة إلى عدم وجود وحدة عضوية في قصائد امرئ القيس عكس قصائد عمر التي توجد فيها الوحدة العضوية.

أما فيما يخص النقاط التي يشتركان فيها فيقول رئيف خوري: << واشتركت قصائد عدة لعمر مع امرئ القيس في قصائد المغامرات الليلية ولا سيما في موضوعها وموسيقاها وفي أسلوبها القصصي، إذ أن الشاعرين يزوران المعشوقة تحت أستار الليل إذ يفاجئان فتاتيهما فتدهشان ويكون ما يكون>>(19).

من تم فإن عمر وامرؤ القيس يتفقان في القصائد التي تحكي عن عشق المرأة وخاصة على مستوى الموسيقى والموضوع.

- **الموازنة بين أبي تمام والبحتري:**

أجرى الآمدي موازنته الشعرية بين هذين الشاعرين معتمدا في الموازنة بين البيتين أو القطعتين التي اتفقا في الوزن والقافية، كما وازن بين المعاني ومنه قول أبي تمام:

أرامة كنت حسنك التصابي لو استمعت بالأنس القديم

أدار البؤس حسنك التصابي إليّ فصرت جنات النعيم

لئن أصبحت ميدان السوافي لقد أصبحت مــيدان الهمــوم

(18) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي، ص 117.

(19) نفسه، ص114.

ومما ضرم البرحاء أنـــي شكوت وما شكوت إلى رحـــيم

أظن الدّمع في خدي سيُبقي رسوما من بكاء في الرسوم[20]

من خلال هذه الأبيات ألفاظ أبي تمام في غاية الوضوح ومعناها بسيط، كما يرى الآمدي << أن شعر أبي تمام سهل وكلامه مفهوم وأفكاره واضحة ومتسلسلة بعيدة عن التكلف والتعسف وقد شبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة، أما فيما يخص قول " قصرت جنات النعيم>" فهو معنى حسن، ولكن فيه إسراف وهو أن يجعل دارا خلت من أهلها وسماها دار بؤس وهو باك في جنات النعيم>>[21].

وهذا يعني أن شعر أبي تمام مفهوم وأفكاره متسلسلة ومترابطة فيما بينها بعيدة عن التكلف وقد شبهه الآمدي بكلام أهل البلاغة.

أما البحتري فيقول:

يا معاني الأحباب صرت رسوما وغذا الدهر فيك عندي ملوما

ألف البؤس عُرصتيك وقد كنت بعينيّ حبـــــة ونعيمـــــا[22]

والبحتري جاء بهذا المعنى متبعا أبا تمام فشعر البحتري واعتبره الأحسن والأشعر.

- **الموازنة بين جرير وعمر بن أبي ربيعة:**

قام رئيف خوري بإحداث موازنة بين جرير وعمرو بن أبي ربيعة، فاعتمد في ذلك على استخدام التجربة الشعرية عند كليهما مرتكزا على أحوال البيئة الصغيرة وخصائصها

(20) أبي القاسم بن بشير بن يحي الآمدي البصري: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص351.

(21) نفسه، ص351.

(22) نفسه، الصفحة نفسها.

النفسية، فهو يستشهد بهذه الأبيات الشعرية لإبراز الجانب النفسي لكل منهما ومنه يقول جرير:

إذا ذكرت ليلى أتيح لي الهوى　　على ما ترى من هجرتي، واحتمى بيا

خليلي لولا أن تظن بي الهوى　　لقلت سمعنا مــن عقلية داعيـــــة

قفا فسمعها صوت المنادي لعله　　قـــــريب وما دنيت بالـــــود دانيــا

ولولا أنها شاءت شفتني بهين　　وإن كان قد أعيا الطبيب المداويا[23]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن نفسية جرير مصحوبة بالشعور بالحزن والألم في حياته، بسبب الظروف المزرية التي عاشها أما فيما يخص غزله فهو غزل عتاب وذكريات الحسان اللواتي سعى إلى حبهن،...وإنه في غزله مادي ساذج الإخراج أكثره ذكريات بعيدة عن تصوير الشعور والشوق إلى الحبيبة>>[24]

غزله فيه عتاب ويذكر فيه الفتيات اللواتي كان يسعى إلى حبهن، وهو ساذج باعتبار شعره خالي من الأحاسيس، فأكثر ذكرياته لا تعبر عن الشوق إلى الحبيبة.

أما عمر بن أبي ربيعة فيقول:

ليت شعري هل أدوق　　ــن رضابا من حبيب ؟

طيب الريقة والنكــ　　هــة كالراحل القطيب

واضح اللبـــــة والسنـــــة　　كالضــبي الـــــربيب

مخطف الكشحين عاري الصــ　　لـــــب ذي ذل عجيب

(23) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي، ص120.

(24) نفسه، ص119.

حـــــبذا ذاك غـــــــــزالا　　　قد شفّني قرح ندوبي[25]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن عمر عاش حياة اللهو والمرح والنعيم والإعجاب بشخصيته وميله إلى المجون، أما في غزله فيذكر رئيف خوري أنه غزل << حضري يعتمد على الحب الحسي بما فيه من عناق وتقبيل وسم وابتسام ولطف في الحوار، وولع بجمال المرأة، وهو في وصفها غير مقيد بحدود، يصف لك بهجة الألوان ومتعة الحركات بحيث يخرج من الرزانة وحدود العفة >>[26].

وعليه فإن غزل عمر متحضر يعتمد على الحب بما فيه العناق والتقبيل، وغير مقيد بحدود أثناء وصفه للمرأة.

ولهذا فضل رئيف خوري شعر جرير على شعر عمر؛ لأن في شعر جرير كثرة الصور البلاغية وفخامة التركيب وهو يبتعد عن السهولة، أما شعر عمر فليس فيه شيء من فحولة اللفظ وجمالية الصور البلاغية.

3.الحزن في شعر ابن الرومي:

أ. مظاهر الألم عند ابن الرومي:

الرثاء عند ابن الرومي من أعظم الفنون التي تغطي مساحة واسعة في شعره، لأنه يرتبط بحياته ارتباطا مباشرا، ودراسته تلقي ضوءا ساطعا على نفسيته السوداويه وطبيعته الحزينة.

فابن الرومي <<كان يستشعر في أعماقه حزنا ممظا، لأنه لا يؤخذ حقوقه في عصره بالمقارنة إلى غيره من الشعراء الذين يتفوق عليهم تفوقا واضحا، فكان شعوره بالبؤس والحرمان يضاعف حزنه، وكأنما الحياة كلها أمامه، كانت أحزانا ومآثم ومآسي وتصادف أن مات له ثلاثة أبناء، فبكاهم بكاءا حارا خاصة على ابنه الأوسط الذي مات

(25) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي، ص121.

(26) نفسه، ص120.

منزوفا وهو لا يزال في المهد طفلا صبيا، وقد نصب بقصيدته له مأتما كبيرا، صور فيه موته ونزيفه تصويرا محزنا>>[27]

إن الحزن الذي كان يشعر به ابن الرومي في أعماق نفسه، مردّه عدم أخذ حقوقه كاملة مقارنة مع شعراء كان أحسن منهم، بالإضافة إلى الكوارث الجسام التي حلت به وهي موت أبناءه الثلاث، وبالأخص ابنه الأوسط الذي كان في المهد طفلا صغيرا.

وكان << الفقدان في نفس شاعرنا إيقاظا للآلام المختلفة التي رافقت حياته، وهكذا كان رثاءه معبرا أبدا عن عاطفة صادقة، عميقة في صدقها، مثقلة بجميع نوائب الحياة التي عرفها >>[28].

إن هذا الفقدان والحرمان من الأولاد خلق في نفس الشاعر ألام مختلفة رافقت حياته مما جعل رثاءه يعبر عن هذا الحزن والأسى الذي كان يشعر به.

وهكذا كان الرثاء عنده تمثيلا للموت، وتصويرا ناطق التأثير وتفجيعا مديد الأصداء، ودموعا سخية، وآهات محرقة.

ب. أنواع الحزن عند ابن الرومي:

كان الرثاء عند ابن الرومي يعبر عن إحساسه المرهف خاصة ما قاله في أهله فإحساس العاطفة واللوعة متوفرة بشكل كبير في مرثياته، ولقد أبدع شاعرنا في الرثاء وذلك نظرا لمعاناته في حياته من كثرة الحزن والمآسي التي تعرض لها، ويمكننا تقسيم الحزن في الرثاء إلى قسمين، وهما: حزن في رثاء أهله وآخر في رثاء غير أهله:

1. حزن في رثاء أهله:

أ. رثاء أمه:

فارقت والدته الحياة، وهو كبير في السن فحزن على فراقها وبكى عليها مما جعله يرثيها في قصيدة يقول في بعض منها:

---

(27) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط12، دار المعارف، (د.ت)، ص 317، 318.

(28) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1986، ص746.

أقول وقد قالوا: أتبكي كفا قد رضاعا وأين الكهل من راضع الحلم؟

هي الأم يا ناس جزعت تكلها ومـــــن يبك أما لم تذم قط لا يُدم[29]

من خلال هذه الأبيات يتضح أن أمه ماتت وهو كهل، إذ يرى أن أمه كانت تقية صالحة رحيمة، كما يؤخذ في أبياته عن رثائها.

ب. رثاء أخيه:

وجاءت الموت ليفرط عقد عائلته واحدا تلو الآخر فبعد وفات والده توفيت والدته ثم أخوه الأكبر محمد الذي كان متعلقا به تعلقا كبيرا، حيث حزن عليه حزنا شديدا وقال في رثائه:

وتسليني الأيام لا أن لوعتي ولا حزين كشيء ينسي فيغرب

ولكن كفاني مسليا ومغربا بأن المدى بيني وبينك قريب[30]

فابن الرومي في هذه الأبيات لا يستطيع أن يتسلى ويمرح في أيامه؛ لأن لوعته وألمه يراوده عند خسارة أخيه الذي يعتبره، بأنه قريب المدى إليه.

ج. رثاء زوجته:

توفيت زوجته بعد وفاة أولادها الثلاثة، فحزن عليها ولم يستطع الصبر على هذه النكبات فازداد ضعفا وانكسارا في أوضاعه وأحواله يقول:

عيني شحا ولا تســــحا جــل مصابي عن البكاء

ترككما الـــــداء مستكنّا أصدق عن صحة الوفاء

إن الأسى والبكاء يقدما أمران كالداء والدواء[31].

في هذه الأبيات يدعو ابن الرومي عينيه أن تبخلا بالدمع حتى يعيش حزنه العميق الدائم لوفاة زوجته، فهو يرى بأن البكاء ينفس عن الحزن ويخفف من لوعته.

(29) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسن بسج)، ج3، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص288.

(30) نفسه، ج1، ص96.

(31) نفسه، ص34.

د. رثاء ابنه الأوسط:

لقد استكثرت الأقدار ابن الرومي فاختطفت يد المنون ابنه الأوسط الذي رثاه في قصيدة، قال فيها:

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها وخلفت الآمال ما كان من وعـــــده

لقد قل بين المهد واللحد لبنه فلم ينس عهد المهد إذ ضم في اللحد

ألح عليه النزف حتى أحاله إلى حفرة الحادي عن حمرة الـــــورد

وظل على الأيدي تساق نفسه ويذوي كما يذوي القضيب من الرّد(32)

لقد كانت المنايا تناصبه العداء وتترصد له، وكانت تريد أن تصيبه في مقتل فلم نجد أحب إليه من ابنه الأثير لتقتله به، حيث كان يترقب هذا المصير لابنه؛ لأن المنايا كانت تتوعده بخطف ابنه منه، فهو لم يكن طفلا عاديا، فهو النبيه النجيب الفائق أقرانه وابن الرومي كحال كل أب مفجوع تعقد الصدمة لسانه فلا يحسن قولا، بالإضافة إلى أن هذه الأبيات تشكل صورة لمشاعر الشاعر ولقبه المعلق بين المهد واللحد.

هـــ. رثاء خالته:

كان ابن الرومي متعلقا تعلقا شديدا بأهله وخاصة خالته التي فارقت الحياة، بعد وفاة أخيه فتركت فراغا كبيرا في نفسيته، مما جعله يرثيها في قصيدة فيقول:

ألاَ ليْسَت الدنْيَا بـــدار فـــلاحِ بِعَيْنيْكَ صرعاها مساءَ صباح

لنا من كلا العصرين ساقٍ كلاهُما يَدُورُ فيسقينا بَكَأسِ ذُبـَــاحِ

أُرانِي وأُمّــــي بعد فِقْدَانِ أُخْتِهَــا وإنْ كنتُ في رَفْهٍ بها وَصَلاَح

كفرح قطاة الذوبان جنادها فبات إلى حصى بغير جناح(33)

يذكر ابن الرومي في هذه الأبيات فقدان أخت أمه (خالته) إثر مفارقتها الحياة الدنيا والتوجه إلى جوار ربها.

(32) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص400.

(33) نفسه، ص340.

2.حزن في رثاء غير أهله:

أ. رثاء محمد بن عبد الله بن الطاهر:

لم يقتصر رثاء ابن الرومي على أهله فقط، فقد رثى أيضا بعض أصدقائه كرثائه لصديقه (عبد الله بن الطاهر) الذي تألم لوفاته يقول:

إن المنية لا تبقي على أحد ولا تصاب أخا عــــز ولا حسد
هذا الأمير اننه وهو في كسف كالليل في عدد ما شئت أو عدد
من كل مستحدب للموت ذيدنه بز الكماة ولبس البيض والزرد
كأنه الليث لا تثني عزيمته إلا عزيمته أو جـــــرعة النقد(34)

إن الموت عند قدومها لا تختار أحد، سواء كان معزز ومحبوب فهي تخطف من باغ أجله، فقد شاءت الأقدار أن تُلقي رحابها على الصديق محمد بن عبد الله بن الطاهر ورحيله إلى الأبد، ولبسه ثوب الكفن ووضعه في القبر.

ب. رثاء أبو الحسين:

استمرت النكبات التي مرّ بها شاعرنا من ألم عند مفارقة صديقه الثاني للحياة، فرثاه في قصيدة يقول فيها:

أمامك فانظرْ أيّ نهجْيك تنهجُ طريقان شتى : مستقيم واعوجُ
ألا أيهذ االناسُ طال ضريرُكم بآل رسول اللَّه فاخشوا أو ارْتجوا
أكل أوانٍ للنبي محمد قتيلٌ زكيٌ بالدماء مُضرَّجُ
تبيعون فيه الدينَ شرَّائِمةٍ فلله دينُ اللَّه قد كاد يَمْرَجُ
لقد ألحجوكم في حبائل فتنة وللملحجوكم في الحبائل الحج(35)

إن ابن الرومي قد رثا أبا الحسن الذي قتله العباسيون وكان قد ثار عليهم، وجمحت به المخيلة فتصور قائما يقوم عليهم من بني علي بجيش جرار فيوقع بهم.

(34) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص405.

(35) نفسه، ص305.

4.الألم في شعر الخنساء:

أ. ملامح الحزن في بكائيات الخنساء:

نلمس ملامح الحزن والأسى في بكائيات الخنساء باعتبارها امرأة أصيبت في صميم قلبها، وكان الخطب الذي ألمّ بها عظيما بقدر ما كانت محبتها لأخيها شديدة، وإن أول ما يمكن ملاحظته في ديوان الخنساء هو طغيان دلالة البكاء والدموع والنحيب والآهات وأول ما يطالعنا في ديوانها قولها:

يا عين مالك لا تبكين تسكابا   وإذا راب دهر وكان الدهر ريابا

فابكي أخاك لأيتام وأرملة   وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا(36)

فالخنساء تذرف الدموع، لكنها لا تكتفي بذلك بل هي تحرض عيونها على ألا تتوقف عن البكاء، فهي متهيجة حزينة، وحزنها يزداد مع تفاقم وضعيتها النفسية وتأزمها فالبكاء بالنسبة لها ليس مجرد فعل عضوي للعين في استخراج الدموع، بل هو نوع من الوفاء لذكرى أخيها صخر؛ الذي فجعت بموته، هذا الأخ الذي كان يتصف بالجود والعطاء وإيواء الغريب والذي يعتبر بالنسبة لها العطوف على الأيتام والأرامل المكفكف لدموع اليتامى، والمحرومين والبائسين، والذي تجسدت فيه كل الصفات الكريمة والخصال الحميدة، فهو البطل الشجاع والمحارب المغوار المدافع عن قيم التسامح والعدالة الاجتماعية الذي رثته الخنساء وسكبت عليه الدموع مدرارا.

تقول الخنساء:

وابكي أخاك لخيل كالقطا عصبا   فقدن لما ثوى، سببا وأنهابا

يعدو سابح نهد مرا كله   مجلبب بسواد الليل جلبابا(37)

(36) ديوان الخنساء: (تق كرم البستاني)، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م، ص7.

(37) نفسه، الصفحة نفسها.

تظل دلالة البكاء صفة ملازمة للخنساء، وتكرار كلمة البكاء دليلا على أن الخنساء لم تشفي غليلها في إثبات حزن متكامل فحزنها متكامل، ودموعها عن صخر لا تكفي وحدها للتعبير عن حزنها، فهو يظل في مخيلة الخنساء وموته يعني موتها وبدونه تفقد لذة العيش وكأنها لسان حالها يقول: ما قيمة الحياة في موت أعز الناس.

لقد ظل صخر تلك الصورة الحية التي لا تُمحى من ذاكرة الخنساء وتناسلت خيوط الحزن والألم وامتزج التذكر بالبكاء والأسى باستحضار الفاجعة.

ورثاء الخنساء هو <<عاطفة صادقة في حزنها أو هو لوعة الأخت على أخيها أو هو نغمة الألم تتصاعد مكررة في بداية بلا نهاية، وتماشي نبرات العاطفة في اختلاف تموجات في اندفاعها وثورتها، وفي ركودها وانكسارها في تبويق عزتها وفي إرعاد تهديدها، في حبها المصطدم وفي أسفها الملتذم>>[38].

فالخنساء في رثائها تعبر عما في داخلها من حزن، ولوعة الأخت على أخيها الذي كانت متعلقة به فهو نغمة تخرجها من خلجات نفسها لتعبر بها عن حبها الشديد.

ويعتبر شعر الخنساء من أروع ما نظم من قصائد متميزة في العصرين الجاهلي والإسلامي باعتبارها شاعرة مخضرمة، فشعرها ذاتي يعبر عن وقائع حقيقية عاشتها الشاعرة.

ب. أنواع المراثي في شعر الخنساء:

الرثاء فن من فنون الأدب يعبر به الشاعر عن خلجات قلب حزين مليء بالآهات الموجعة والحسرات المرة، وذلك إثر فقدان عزيز يعمد الشاعر إلى بكائه والتفجع عليه وإظهار اللوعة لفراقه مثل ما حدث للخنساء، حيث تعددت مراثيها لأخويها.

---

(38) ديوان الخنساء: (شرح أبو العباس ثعلب)، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م، ص45.

أ. رثاء زوجها:

بدأت المصائب تتوالى على الخنساء واحدة تلوى الأخرى، وأعظم مصيبة كانت وفاة زوجها الذي حزنت عليه حزنا شديدا ورثته بقصيدة تذكر فيها كلامه وأخلاقه النبيلة تقول في بعض منها:

لقد خار مرداسا على الناس قاتله ... ولو عاده كنّاته وحلائله

وقل ألا شفاء يناله ... وقد منع الشفاء من هو قائله

وفضل مرداسا على الناس حلمه ... وإن كل هم همه فهو فاعله

وإن كل واد يكره الناس هبطه ... هبطت وما منهل أنت فاعله

تركت به ليلا طويلا ومنزلا ... تعادى على ظهر الطريق عواسيله

ونسبي كأدام الصّريم تركته ... خلال الديلر مستكينا عواطِلُه[39].

تهتز الخنساء لفقد مرداس اهتزازة، يتولد عنها هذه الأبيات التي ترثيه بها معبرة فيها عن حزنها الشديد لفراق زوج عاش معها فترة من حياتها، وسجلت له الأحداث ذكريات، فهذه الأبيات تعتبر في ميزان شعرها من أحسن مراثيها، لأنها لا تبتعد عن نهجها العام في مراثيها التي ترددها بين الندب والتأبين، فتعددت المناقب وتذكر المآثر ولقد كان مرداس في رأيها أفضل الناس حِلما ومروءة وشجاعة.

ب. رثاء أخيها معاوية:

وشاءت الأقدار أن تتوالى النكبات على الخنساء بمقتل أخيها الأكبر والفارس والبطل والشجاع معاوية، وبمقتله بدأت مرحلة البكاء والرثاء الذي لم يفارقها طوال حياتها ومما رثت به أخاها معاوية قولها:

ألاما لعينك أم مالها؟ ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابني عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها

لعمرو أبيك لنعم الفتى ... تحش به الحرب أجذالها

---

(39) أحمد أبو شاور: موسوعة أميرات الشعر العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص150.

حديد السنان دليق اللسان يجازي المقارض أمثالها

هممت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسي أولى لها

فإن تصبر النفس تلق السرور وإن تجزع النفس أشقى لها[40]

إن الخنساء في هذه الأبيات تتألم وتبكي على فقدان أخيها معاوية، والدمع يملأ عيناها عند مفارقته للحياة في وسط المعركة، فهي لم تستطع أن تصبر عليه ويبقى الجزع يُراوِدها.

ج. رثاء أخيها صخر:

بعد وفاة زوجها وأخيها الفارس الكبير حلت بساحتها مصيبتها الكبرى بفقدان أخيها صخر، فتقطر قلبها بحزن شديد لفراقه، وفاضت دموعها بسخاء كبير، وقد قالت فيه سبعين مرثية، ومن أشهرها قولها:

يا صخر وراد ماء تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

مشى الشبنتي إلى الهيجاء معظلة لها سلاحان أنياب وأظفار

فما عجول على ذو تطيف به لها حنينا إمغار إكبار

ترتع ما ترتع حتى إذا إذ كرت فإنما هي إقبال وإجار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا انشتو لنحار

حامت الحقيقة مرضي الخليفة مهــ دي الطريقة نفاع ومرار

جواب قاسية جزان ناصية عقاد الوية للخيل جرار

لم تراه جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار[41]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن صخرا بلغ من السمو وكرم الخصال ونبل الأخلاق ما جعله مشهورا في موضعه، شهرة تجذب الناس إليه، مثله كمثل الجبل الذي توقد على

(40) أحمد أبو شاور: موسوعة أميرات الشعر العربي، ص 150 .

(41) المرجع نفسه، ص151، 152.

قمته النيران، بالإضافة إلى أنه كان سيد القبيلة وكان مولاهم، وهو الذي إذا ما أقبل الشتاء يبعث لكل فرد في بيته ليعيش مما جمع، وأيان يشتد على الناس وطأة الحاجة إلى الطعام ونرى صخرا يبذل المعروف ويطعم الناس.

التقاطعات والقطائع بين بكائيات الخنساء ورثائيات ابن الرومي :

عرف النقد العربي مند القديم قضية الموازنات الشعرية التي عقدت بين كثير من الشعراء للمقارنة بينهم باعتبارها ذلك النقد الذي يدور حول موضوع واحد، وفي قضايا متقاربة أو فكرة واحدة مشتركة قصد التعرف على أفكار كل شاعر، واكتشاف خصائص كل نص معناه ومبناه، ولهذا فقد أجرينا الموازنة بين الخنساء وابن الرومي، لأنهما اشتركا في غرض الرثاء الذي يعتبر فنا من الفنون يعبر به الشاعر عن الوجع والألم الشديد الناجم عن الفراق، وقد نبغا فيه وكل واحد سلك طريقة، ومن خلال دراستنا لكل شاعر على حدة وجدناهما يتفقان في نقاط ويختلفان في نقاط، وعلى هذا الأساس سنتطرق أولا إلى أوجه الشبه بين الخنساء وابن الرومي سواء على مستوى المضمون أو الشكل ثم أوجه الاختلاف ما بينهما .

1. التقاطعات(أوجه التشابه):

أ. على مستوى الشكل :

كلاهما اتبع في شعره نظام القصيدة العربية القديمة، أي نظام الشطرين ومن أمثلة ذلك قول الخنساء :

جرى في طير في حمام جذرته ... عليك ابن عمرو من سنيح وبارح

فلم ينج صخرا ما حذرت وغاله ... مواقع (*)غاد للمنون ورائـــــح

رهينة رمس قد تجر ذيولها ... عليه سوافي (**)الرامسات البوارح

فيا عين بكي لأمرىء طار ذكره ... له تبك عين الراكضات السوابـــح

وكل طويل المتن أسمر ذابل ... وكل عتيق في جيـــاد الصفائـــح

(*) المواقع :ج موقع ، وهو المسقط أو مكان الوقوع.

(**) السوافي :ج سافية ، وهي الريح التي تسقي التراب.

وكل دلاص كالأضاة مذالة وكل جواد بين العتق قارح

وكل ذمول(*)كالفنيق شملة وكل سريع، آخر الليل، آزح (42).

ويقول ابن الرومي :

مكر الزمان علينا غير مأمون فلا تظنن ظنا غير مظنون

بل المخوف علينا مكر أنفسنا ذات المنى دون مكر البيض والجون (**)

إن الليالي والأيام قد كشفت من كيدها كل مستر ومكنون

وخبرتنا بأن من فرائسها نواطقا بفصيح غير ملحون

واستشهدت من مضى منّا فأنبأنا عن ذاك كلّ لقي من ومدفون

من هالك وقتيل بين معتبط وبين فان بترك الدهر مطحون

فكيف تمكر وهي الدهر تندرنا من الحوادث بالأفكار والعون ؟ (***)

ووالدين حقيق أن يعقَّهما راعي الأمور بطرف غير مكمون

أب وأم لهذا الخلق كلهم كلاهما شر مقرون بمقرون (43).

-شيوع ظاهرة التكرار في مراثي الخنساء وابن الرومي الذي يعد من أبرز الخصائص في هذه المراثي، فابن الرومي في رثاءه لبستان المغنية كرر اسمها خمس مرات إذ يقول:

(*) الذمول: من النوق التي تسير سيرا آليا.

(42) دبوان الخنساء : ص28.

(**) الجون: الأسود.

(***) العون: جمع عوان التي كان لها زوج.

(43) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن بسج)،ج3 ، ص397-398.

بستان: يا حسرتا على زهر فيك من اللهو على ثمر

بستان: لهفي لحسن وجهك والـــ إحسان صار معا العفر

بستان: أضحى الفؤاد من وله يا نزهة السمع منه والبصر

بستان: ما منك لامرئ عوض من البساتين لا ولا البشر

بستان: أسقيت من مدامعنا الـــ ذمع وأعقبت عقبة المطر[44]

يبدوا واضحا في هذه الأبيات نوع العلاقة التي كانت تربط الشاعر ببستان، أنهما علاقة الحبيب بمحبوبه، وهذا السبب هو الذي سوغ للشاعر أن يكرر اسمها تكرارا نسقيا خمس مرات، وقد ساعدت الألفاظ (ياحسرتا) و(ولهفي) على إظهار البعد الدلالي المستفاد من هذا التكرار، بالإضافة إلى تكرار العبارة. يقول :

أبكي الشباب لنفس كان يسعفها بكل ما حاولته من ملاهيها

أبكي الشباب لآمال فجعت بها كانت لنفسي أنسا في معانيها

أبكي الشباب لنفسي لا ترى خلفا منه ولا عوضا مذ كان يرضيها

أبكي الشباب لعين كل ناظرها بعد الثقوب وحار القصد هاديها[45]

كرر الشاعر في هذه الأبيات (أبكي الشباب) عدة مرات مما أضفى على النص تناغما إيقاعا عاليا من خلال ورودهما في بداية كل أسطر عن ذلك فقد كان للتكرار أثر في تأكيد دلالة الأبيات وتعزيز الوحدة الموضوعية، فالشاعر يقيم مأتما على شبابه الذي رحل عنه فرحلت معه البشاشة والسعادة والهناء يتفنن في عرض حزنه على الشباب.

تقول الخنساء :

---

(44) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن نسيج)، ج2، ص15.

(45) نفسه، ج3، ص525.

يا عين فيضي بدمع منك مغزار وابكي لصخر بدمع منك مذرار (46)

أعيني هلا تبكيان على صخر بدمع حثيث لا بكيء ولا نزر (47)

وصخرا ومن ذا مثل صخرا إذا غدا بساحته الأبطال قزم يقودها (48)

على صخر وأي فتى كصخر لعان عائل غلق بوتر (49)

ومن مظاهر التكرار عند الخنساء تكرار الكلمة، وهو أنواع منه تكرار الاسم، إذ تكرر اسم المرثي صخر أكثر من خمسين مرة في الديوان وله وظيفة دلالية عظمى داخل نصها الشعري فإن الشاعرة متألمة، وفي تكرار "صخر" نجد تعظيما وتنويها بشأنه وتفخيما له في القلوب والأسماع، بالإضافة إلى المطالع المتكررة التي تتكرر صورة البكاء فيها لأهميتها وعلاقتها الوطيدة بنفس الشاعرة ومواقفها.

-كما نلتمس توظيفها للصور البيانية في مراثيها (ابن الرومي والخنساء) على الرغم من تميز هذه المراثي في الغالب بالعفوية والبساطة، فإن معظم هذه الصور تقع في إطار الصورة البلاغية القائمة على التشبه والاستعارة والكتابة ويظهر ذلك جليا في قول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار (50)

نلاحظ في هذا البيت تشبيها جميلا ومعبرا عن المعنى الذي قصدته وهو تشبيه صخر بالجبل الذي أوقدت في قمته نارا وذلك للدلالة على سمو المرتبة التي وصل إليها، كما نجد الاستعارة في قولها:

---

(46) ديوان الخنساء، ص58.

(47) نفسه، ص 51.

(48) نفسه، ص 44.

(49) نفسه، ص 45.

(50) نفسه، ص 49..

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان بصخر الندى؟[51]

(أعيني جودا) شبهت الشاعرة عينيها بشخصين تطلب منهما العون وحدفت المشبه به ودلت عليه من لوازمه وهو النداء، وهذه الصورة توحي بشجة الحزن الذي يعتلج نفسها وتقول :

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا [52]

(رفيع العماد) كناية عن الشرف والسمو وأيضا نجد الكناية في قولها (طويل النجاد) وهي كناية عن طول القامة، وفي قولها أيضا (ساد عشيرته أمردا) وهي كناية عن الرجولة المبكرة، ونجد هذه الصور عند ابن الرومي نذكر منها في قوله :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا، فقد أودى نظيركما عندي [53]

(بكاؤكما): استعارة مكنية فقد شبه عينيه بشخصين يخاطبهما وسر جمالها التشخيص.

(بكاؤكما يشفي): استعارة مكنية، للبكاء بالدواء الشافي للألم والحزن.

(جودا): استعارة مكنية، حيث تخيل عينيه شخصين، ووجه لهما الأمر وهي امتداد للصورة السابقة. أما الكناية في قوله :

(يشفي): كناية عن الراحة مع الدموع، لأنها تطفي نار الحزن، ولذلك تشتد اللوعة عندما تتحجر العين ولا تدمع.

والتشبيه في قوله: (أودى نظيركما عندي): تشبيه ابنه في منزلته عنده بعينيه، وهو تشبيه يوحي بشدة الحب.

---

(51) ديوان الخنساء، ص 30.

(52) نفسه، الصفحة نفسها.

(53) ديوان ابن الرومي: ج1، ص400.

-ويشترك ابن الرومي والخنساء في بعض القصائد الذاتية في حرف الروي ونستشهد على ذلك في قصيدة ابن الرومي الدالية التي قالها في رثاء ابنه يقول في بعض منها:

وإني وإن متعت بابني بعده لذاكره ما حنت النيب في نجد

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقدناه كان الفاجع البين الفقد

لكل مكان لا يسد اختلاله مكان أخيه في جزوع ولا جلد (54)

وتقول الخنساء :

وابكي لصخر إنه شق الفؤاد لما يكابد

المستضاف من السنين إذا قسا منها المحارد

حين الرياح بلائل نكب هوائجها صوارد

ينفين عن ليط السماء ضلائلا كأنها خرق طرائد (55)

إن هذين القصيدتين يشتركان في حرف الروي الذي هو حرف الدال.

-لو نظرنا في ديوان الخنساء فإننا نلاحظ وجود ثلاث قصائد نوع القافية مقيدة وهذا يدل على تدني نسبتها في شعر الرثاء، لأنها لا تتناسب مع عاطفة الحزن، ولا تقوى على التعبير الدقيق عن المصاب، ولا تساعد على تفريغ شحنة الحزن والألم، فهي بدلك قد اعتمدت على القافية المطلقة، وهذا ما نجده عند ابن الرومي، لأنه اعتمد أيضا على القافية المطلقة، ونذكر على سبيل المثال قول الخنساء :

(54)ديوان ابن الرومي: ج1، ص 401.

(55) ديوان الخنساء: ص35.

تبكي لصخر وقد راب الزمان به إذا غاله حدث الأيام والقدر

مأوى الضريك ومأوى كل أرملة عند المحول إذ ما هبت القرر

ما بارز القرن يوما عند معركة إلا له، يوم تسمو الكرة، الظفر (56)

والحركة في نهاية هذه الأبيات هي الضمة أي أن القافية تنتهي بحركة، فالقافية مطلقة .

وتقول أيضا :

قمران في النادي رفيعها محتد في المجد فرعا سؤدد متخير (57)

والحركة في نهاية البيت هي الكسرة.

ونجد نفس القافية عند ابن الرومي، فيقول في رثاء محمد بن عبد الله بن طاهر:

لله من هالك وافى الحمام به أخرى الحياة وأخرى المجد في أمد

كم مقلة بعده عبرى مؤرقة كأنما كحلت سما على رمد

جادت عليه فأغنت أن يقال لها: يا عين جودي بدمع منك مطرد (58)

والحركة في هذه الأبيات هي الكسرة فالقافية مطلقة وليست مقيدة.

ويقول في رثاء بستان المغنية :

يملأ روحا فؤاد سامعه ويصطلي حره من القرر

---

(56) ديوان الخنساء: ص 64.

(57) نفسه، ص 79.

(58) ديوان ابن الرومي: ج1، ص405.

كأنه قالب لكل هوى فكله والمنى على قدر (59)

فحركة الروي هنا هي الكسرة أيضا وبالتالي حرف الروي متحرك أذن فالقافية مطلقة.

– بروز ظاهرة التدوير في بعض مراثي ابن الرومي والخنساء فهي من الظواهر اللافتة حيث نجد الخنساء تقول :

حامت الحقيقة مرضي الخليفة مهـ دي الطريقة نفاع ومرار (60)

وابن الرومي يقول :

أطار قمرية الغناء عن الـ أرض فأي القلوب لم تطر

ياحر صدري على ثلاثة أمـ واه هريقة في التراب والمدر

لو عقرت حول قبرها بفر الـ إنس مكان القلاص والمهر

والدرّ نظم على الترائب منـ هن وأشكاله من العتر

وانتحرت في فنائه بهم الحر ب وصيد الملوك من مضر (61)

ب. على مستوى المضمون :

مثلما اشتركا في نقاط على مستوى الشكل نجد كذلك هذه التقاطعات على مستوى المضمون نذكرها :

---

(59) ديوان ابن الرومي: ج2، ص 15.

(60) أحمد أبو شاور: موسوعة أميرة الشعر العربي، ص152.

(61) ديوان ابن الرومي: ج2، ص16.

-اعتمد كلاهما غرضا من الأغراض الشعرية القديمة ألا وهو غرض الرثاء الذي يتمثل في ندب الأهل والأقارب ويظهر ذلك جليا في شعر الخنساء التي تقول في رثاء أخيها صخر :

يا عين جودي بدمع منك مهراق إذا هدى الناس أوهموا بإطراق (*)

إني تذكرني صخرا إذا سجعت على الغصون هتوف (**) ذات أمواق

وكل عيرى تبيت الليل ساهرة تبكي بكاء حزين القلب مشتاق

لا تكذبن فإن الموت مخترم كل البرية غير الواحد الباقي

أنت الفتى الماجد الحامي حقيقته تعطي الجزيل بوجه منك مشراق

والعود تعطي معا والناب (***) مكتنفا وكل طرف إلى الغابات سباق

واني سأبكي أبا حسان نادبة مازلت في كل إمساء وإشراق (62)

(*) هموا بإطراق: نظروا في الأرض وسكتوا.

(**) الهتوف: الحمامة.

(***) الناب: الناقة المسنة.

(62) ديوان الخنساء: ص105.

أما ابن الرومي فيقول في رثاء ابنه الذي لم يذكر اسمه :

حماه (*)الكرى هم سرى فتأوبا (**) فبات براعي النجم حتى تصوبا

أعيني جودا لي فقد جدت للثرى بأكثر مما تمتعـــــان وأطيبا

بني الذي أهديته أمس للثرى فلله، ما أقــوى قناتي وأصلب

فإن تمنعاني الدمع أرجع إلى أسى إذا فترت عنه الدموع تلهب (63)

إن الخنساء قد رثت أحد أفراد عائلتها، وهو أخوها صخر، الذي تجود بدمعها عندما تتذكره، وهي لا تنام وتظل ساهرة تبكيه بحرقة وبقلب حزين مشتاق إليه.

وابن الرومي قد رثى أصغر أبنائه الذي لم يسمه، وهي تنم عن فجيعة رجل غمره الحزن على فقد البنين حتى جمدت عيناه ولم يبق عنده من البكاء إلا الأسى الملتهب في الضلوع وهو في هذه الأبيات يصر على العودة إلى حزنه الشديد فيما لو منعت عيناه الدموع وبخلت بها، فالدموع تطفئ نار حزنه وتخفف عليه احتراق قلبه لفقد ابنه الصغير.

-ويشتركان أيضا في ذكر خصال المتوفي وشمائله الكريمة والإشادة بخصاله من شجاعة وكرم ووفاء وجود وجمال وجه وراحة عقل تقول الخنساء في ذكر خصال أخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجرئ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا؟

(*) حماه: منعه.

(**) تأوبا: عاد.

(63) ديوان ابن الرومي: ج1، ص158.

طويل النجاد رفيع العماد(*) ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم (**) وإن كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى(64)

ظهرت موهبة الخنساء في سن مبكرة، وكانت تنشد قصائد قصيرة، لكن لما مات أخوها صخر، ومن بعده شقيقها معاوية، انطلق طوفان الشعر سيلا جارفا ولم يتوقف طوال حياتها، ففي هذه الأبيات تصف أخاها بذكر خصاله فهو صخر الذي كان حليما كريما مقداما شجاعا، وكان أكثر الرجال العرب وسامة وجمالا ويتصف بالوفاء وحماية الجار وإغاثة العفان، والحكم والسيادة والشرف والعفة، وهي بذلك ترسم صورة مثالية له (صخر) يعجز الواقع أن يصور مثلها، وبهذا كله تحاول تخليد المرثى.

وابن الرومي يقول في ابنه الغائب محمد يصفه وهو يحتضر:

ألح عليه النزف، حتى أحاله إلى صفرة الحادي عن حمرة الورد

وضل على الأيدي تساقط نفسه ويذوي القضيب من الرند

فيالك من نفس يتساقط أنفسه تساقط در من نظام بلا عقد

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر (65)

(*) رفيع العماد: كناية عن السيادة والشرف.

(**) عالهم : غلبهم وثقل عليهم.

(64) ديوان الخنساء: ص30.

(65) ديوان ابن الرومي:ج1، ص400.

وصف ابن الرومي مشهد احتضار ولده، واصفا كيف لازمه النزف، وكيف سلخ عنه لون الحياة وألبسه لون المرض والموت، ويصور كيف كانت أيدي المحبين تتناقله في وداع مأساوي، وهو يذوي كأنه قضيب الرند، ويعجب من رؤية نفس الصبي تتساقط خلجة، كما يتعجب كيف استطاع التماسك أمام هذه المأساة، وبهذا الوصف أحاط ابن الرومي بدقائق المأساة التي ألهبت وجدانه فجعلها مائلة أمامنا، تتمثل في صورة الصبي وهو يحتضر، اعتمد ابن الرومي كعادته على أكثر من حاسة من حواسه، فهو نقل جزئيات المشهد بعينه، لكنه كان يتحسر وهو يتابع فصول المأساة على شميم الصبي وطيبا للأنف الذي يشمه.

-يتفقان كذلك في ذكر مكانة المتوفى بين الناس والفراغ الذي تركه، وأثره الذي خلفه في النفوس سواء بالنسبة لأهله أو غير أهله ومثال ذلك قول الخنساء:

ذكر صخر إذا ذكرت نداه عيل صبري برزئه ثم باحا

إن في الصدر أربعا (*) يتجاوبن حنينا حتى كسرن الجناحا

دق عظمي وهاض(**) مني جناحي هلك صخر فما أطيق براحا

من لضيف يحل بالحي عان بعد صخر إذا دعاه صياحا

وعليه أرامل الحي والسفر ومعترهم (***) به قد ألاحا (66)

(*) أربعا: أضلاع صدرها العليا.

(**) هاض : كسر

(***) المعتر : المعترض للمعروف من غير أن يسأل

(66) ديوان الخنساء ، ص26.

كما تلجأ الشاعرة أحيانا إلى نعي تلك الفضائل مع المرثى فكأنها ذهبت بذهابه، فلم يصبح بعده من يجيب الندى ولا من يحمي الحمى، ويغيث الملهوف، وفك العاني، ويدافع عن العرض ويقود الحرب فقد دفنت المكارم بدفنه وضاعت الأخلاق النبيلة في ثراه، فقد ترك صخرا فراغا كبيرا بموته لما كان يتميز به من شجاعة.

أما ابن الرومي فيقول في ذكر الفراغ الذي خلفه ابنه محمد :

وإني وأن متعت بابني بعده لذكراه ما حنت النيب في نجد

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقدناه كان الفاجع البين الفقد

لكل مكان لا يسد احتلاله مكان أخيه من جزع ولا جلد

هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين كما تهدي ؟[67]

ولا يجد الشاعر في إخوة المرثي عوضا عنه ،بل يسبب رؤيته لهم بتذكره دوما لعدم وجوده بينهم، وبذلك تزداد مأساته ألما، ومعاناته حسرة ،لكنه يعترف بسعادته بوجود ولديه الآخرين في الحياة، ويتذكر ابنه الذي توفي، معلنا عن عدم نسيانه أبدا.

-كما تلمس أن كلا الشاعرين اعتمد في شعرهما رثاء النسب والأهل والأقارب ويتمثل ذلك في رثاء الخنساء لأخويها صخر ومعاوية، وابن الرومي في رثاء أولاده وزوجته وأمه وأخيه وخالته ومثال ذلك قول الخنساء في أخيها معاوية وصخر.

بكت عيني وعاودت السهودا وبت الليل جانحة عميدا

لذكرى معشر ولو أو خلوا علينا من خلافتهم فقودا

ووفوا ظمء (*)خامسة فاسموا مع الماضين قد تبعوا ثموذا

---

(67) ديوان ابن الرومي: ج1، ص401

(*) ظمء خامسة: أي عطش أيام خمسة، وأصله أن الرجل كان إذا نوى سفرا بعيدا عود إبله أن تشرب كل خمسة أيام مرة، لتتحمل العطش.

فكم من فارس لك أم عمرو يحوط سنانه الأنس الحريدا (*)

كصخر أو معاوية بن عمرو إذا كانت وجوه القوم سودا

يرد الحيل دامية كلاهما جديد يوم هيجا أن يصيدا

يكبون العشار (**)لمن أتاهم إذا لم تحسب المئة الوليدا (68)

وابن الرومي يرثي امرأته فيقول :

سلوت شبابي والرضاع كليهما فكيف تراني ساليا ما سيواهما؟

وما أحدث العصران (***) شيئا نكرته هما الواهبان السالبان، هما هما

رأيت احتساب الأمر قبل وقوعه حمى مقلتي أن يطول بكاهما (69)

وقال أيضا يرثى ابنه :

يا غائبا عني بعيد الإياب تغصني فقدك برد الشراب

لهفي على لبسك ثوب البلى من قبل إخلاقك ثوب الشباب (70)

-يتفقان كذلك في العاطفة فهي ملتهبة بالأسى والحزن، ومن الطبيعي أن يكون السواد هو اللون الطاغي على عاطفة الشاعرين في قصائدهما، وذلك لأن التفجع صفة ملازمة للرثاء ونلاحظ ذلك من خلال أشعارهما تقول الخنساء:

(*) الحريد: النعيد المعتزل.

(**) العشار: التي أتى عليها عشرة أيام من لقاحها، وهي من أنفس الإبل.

(68) ديوان الخنساء: ص 31.

(***) العصران : الليل والنهار .

(69) ديوان الخنساء: ص 31.

(70) ديوان ابن الرومي: ج1 ، ص 242.

سقى جدثا، أكناف غمرت دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله

أعيرهم سمعي اذا ذكر الأسى وفي القلب منه زفرة ما تزيله

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى، فأنت على من مات بعدك شاغله (71)

وتقول أيضا :

فلا والله لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي

فقد ودعت يوم فراق صخر أبي حسان لذاتي وانسي

فيا لهفي عليه ولهف أمي، أيصبح في الضريح وفيه يمسي؟ (72)

إن عاطفة الخنساء على كل حال مؤثرة، تخرج من القلب إلى القلب، وعاطفة ابن الرومي نلمسها من خلال هذه الأبيات التي يقول فيها :

ألام لما أبدي عليك من الأسى وإني لأخفى منه أضعاف ما أبدي

محمد: ما شيء توهم سلوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد

أرى أخويك الباقين فإنما يكونان للأحزان أورى من الرند (*)

إذا لعبا في ملعب لك لذى فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد (73)

إن عاطفة ابن الرومي صادقة، لأنها عاطفة من فجع بموت ولده، فهي عميقة، لأنها صدرت عن انفعال وتجربة قاسية مثل ما حدث مع الخنساء.

---

(71)ديوان الخنساء: ص 126.

(72) نفسه: ص 85.

(*) أروى من الرند: أكثر اشتعالا مما تقدح به النار.

(73) ديوان ابن الرومي : ج1،ص401.

-يتقاطعان أيضا في دم الدنيا وذكر القبور والموت ومنازل الشعوب البائدة يقول ابن الرومي:

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها وأخلفت الآمال ما كان من وعد

ولا بعتة طوعا ولكن غصبته وليس على ظلم الحوادث من معدي

وأنت وإن أفردت في دار وحشة فإني بدار الأنس في وحشة الفرد (74)

فالمنايا كانت تتوعد ابن الرومي بخطف ابنه منه، ولم يكن يحفل بوعود الآمال فالموت أقدر على تنفيذ وعد بسلب ابنه منه، وفي البيت الأخير يعبر لنا عن نفسه واعتزاله الناس، فهو يشبه حال ابنه في فترة بحاله هو، فالبرغم من أنه في دار الأنس (الحياة) إلا أنه في وحشة الفرد، فهو بهذا يذم الدنيا بذكر الموت والقبر من خلال قوله: لقد أنجزت فيه المنايا وعيده، ولا بعته طوعا.

وتقول الخنساء :

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه: يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين مشو به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه من الخير، يا بؤس الحوادث والدهر (75)

فالخنساء في هذه الأبيات تتحسر على أخيها صخر الذي خطفته المنية وانتقل إلى ديار الآخرة، وهي تذم الدنيا وتذكر الموت والقبور ودليل ذلك قولها: النعش، مشوبه إلى القبر، يحملون إلى القبر: يوارى القبر.

---

(74) ديوان ابن الرومي: ج1،ص400-401.

(75) ديوان الخنساء : ص25.

– كما نجد أن حزن ابن الرومي والخنساء ذاتي وجداني يعبر عن وقائع حقيقية عاشها كل واحد منهما، ويعكس صورة ما بداخلها على صحاف واقعة القلق المعذب ويتجلى هذا الحزن في المأساة التي حلت بالخنساء عند وفاة معاوية، وابن الرومي بالمصائب التي ألمت به أيضا بدءا بوفاة أبيه إلى وفاة أولاده.

– إن فجيعة الموت ومعاناتها واحدة في كل زمان ومكان، إذ نجد أن الخنساء وابن الرومي قد مرت بهما ظروف قاسية وصعبة ألا وهي موت أفراد العائلة تقول الخنساء في فجيعة الموت :

فاليوم أمسيت لا يرجوك ذو أمل لما هلكت وحوض الموت مورود

ورب ثغر (*) مهول خضت غمرته بالمقربات (**) عليها الفنية الصيد

نصبت للقوم فيه فصل أعينهم مثل الشهاب وهى منهم عباديد (76)

تبرز الخنساء موقفها من الموت ،وما يدور في دواخل نفسها الإنسانية إزاءه مصورة عجزها وعجز الإنسان وضعفه أمام هذه الحقيقة التي لا يمكن مواجهتها.

وابن الرومي الذي لا حقته غبرة الموت في معظم مراحل حياته فلا تكاد تفرغ عيناه من بكاء أحد من أهله حتى تفجعه المنايا بفقد آخر يقول :

أود إذا ما الموت أوفد معشرا إلى عسكر الأموات أني من الوفد

عليك سلام الله مني تحية ومن كل غيث صادق البرق والرعد (77)

(*) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان.

(**) المقربات : واحدتها مقربة : الفرس المكرمه.

(76) ديوان الخنساء : ص41.

(77) ديوان ابن الرومي:ج1، ص400–401.

ختم الشاعر قصيدته بفجيعته من موت ابنه الذي كان يكن له الكثير من الحب وهو في هذين البيتين لا يتمنى إلا الموت.

-كما يتفقان (ابن الرومي والخنساء) في إشراك الطبيعة في حزنهما وألمهما الذي يعيشانه، حيث يحاولان بذلك نقل مصائبهما من الإطار الذاتي الخاص إلى إطار عام فتقول الخنساء إن الأرض تزلزلت لموت أخيها وزالت الكواكب، وبدت الشمس كاسفة والدنيا مظلمة، وأن السيوف والخيول وغيرها أضحت باكية على رحيل أخيها تقول:

فخر الشوامخ من قتله وزلزلت الأرض زلزالها

وزال الكواكب من فقده وجللت الشمس إجلالها (78)

نرى أن الشاعرة تحاول إسقاط مشاعرها على الطبيعة، لا لأنها تصور حقيقة قائمة وإنما تحاول إشراك هذه المظاهر بتجربتها المؤلمة، وهذا فيه دليل على شدة الإحساس بوطأة المعاناة ومرارة الفقد.

ويقول ابن الرومي موظفا الطبيعة في شعره:

كور شمس النهار فانكدرت كواكب الليل كل منكدر (79)

ويقول أيضا :

يا شمس زهر للشموس، يا قمر ال أقمار حسنا، يا زهرة الزهر (80)

إن ابن الرومي يشرك الطبيعة في أحزانه، وهذا دليل على أن للطبيعة دور كبير فهي تخفف عنه ذلك الحزن الذي يعيشه.

---

(78) ديوان الخنساء : ص101.

(79) ديوان ابن الرومي :ج2، ص17

(80) نفسه ، ص18

2. القطائع (أوجه الاختلاف):

من خلال دراستنا لغرض الرثاء عند الشاعرين (الخنساء وابن الرومي) وجدناهما يشتركان في بعض الخصائص ، لكن هذا لا يعني بالضرورة عدم وجود اختلافات بينهما حيث توجد قطائع بينهما على مستوى الشكل والمضمون نذكرها:

أ. على مستوى الشكل :

– خروج مراثي الخنساء على النظام المتبع في القصيدة العربية التقليدية، إذ تتنوع هذه المراثي من حيث بنيتها أو شكلها الخارجي إلى مقطوعات شعرية قصيرة، وقصائد متوسطة الطول لا ترتقي إلى مستوى القصائد التقليدية، أما ابن الرومي فأغلب القصائد التي قالها في الرثاء طويلة ودليل ذلك ما قاله في رثاء البصرة وبستان المغنية ورثاء ابنه ورثاء أصدقائه.

فيقول ابن الرومي في رثاء خاله:

حليف سهاد ليله كنهاره ... يبيت شعار الهم دون شعاره

أصابته من ريب الزمان مصيبة ... كؤود لها ما بعدها من حذاره

رزية خال (*)كان للدهر جنة ... إذا الدهر أنحى مرهفات شفاره

وكان إذا عد الخؤول فعددت ... مساعيه لم تغض الجفون لعاره

ألا مات من مات الوفاء بموته ... فأعوز من يوفي بذمة جاره

ألا مات من مات السماح بموته ... وكل عطاء نقده كضماره

فأي قرى تقري الليالي ضيوفها ... وقد عطلت ما عطلت من عشاره

(*) رزية : مصيبة.

فتى كان يهدي الجود قصد سبيله وحاشاه من أسراره وبداره

فتى كان لا يطوي على الغدر كشحه ولا تسأم الأيام يوم فخاره

فتى كان كالعذراء في ظل خدرها وكالأسد الرئبال في ظل داره

مضى قد تناهى سؤددا(*) غير أنه مضى نصفا قد لاح شيب عذاره (**)

خبا قمر الدنيا لحين اتساقه فيا أسفا هلا لحين سراره

علاه كسوف البدر عند تمامه ملح به حتى هوى في مغاره (81)

وتقول الخنساء :

أعيني جودا بالدموع على صخر على البطل المقدام والسيد الغمر

ليبك عليه من سليم جمـــاعته فقد كان بساما ومحتضر القدر(***)

نظمت الخنساء قصائدها على جميع البحور الشعرية، وكانت القصائد متباينة ما بين بحر لآخر منها البحر السريع، المتقارب، الخفيف الرمل، الكامل، كما شاع في رثائهما استخدام البسيط والطويل، وقد بلغ ما يقارب نصف القصائد ولا نجد غرابة في كثرة استخدام هدين البحرين لأنها جاءت بها لغاية في نفسها من خلال الحادثة التي على أساسها تم نظم هذه الأبيات تقول على البحر الطويل:

عيني جودا بدمع منكما جودا جودا ولا تعدا في اليوم موعودا

هل تدريان على من ذا سيلتكما؟ على ابن أمي أبيت الليل معمودا (82)

وتقول على البحر الطويل أيضا :

(*) السؤدد: المجد.

(**) العذار : جانب اللحية.

(81) ديوان ابن الرومي :ج2، ص160.

(***) محتضر القدر: أي جوادا كريما يطعم الطعام.

لهفي على صخر فأني أرى له نوافل من معروفه قد تولت[83]

وهذا البحر يتناسب مع حزنها في رثاءها لأخيها في النص الأدبي، وهذا التعدد في البحور لا نجده عند بن الرومي.

– اعتمد الشاعر في مراثيه على التشخيص في تقريب صور المعنويات، وبيان جوانبها والتأثير بتشخيص مواطن الفاجعة وهذا لا نجده عند الخنساء فيقول في رثاء أمه :

فقدناك فاسودت عليك قلوبنا وحقت بأن تسود وابيضت اللمم

وأصبح يبكيك السحاب مجاودا فأرزم إرزم العجول وما رذم (84)

اعتمد ابن الرومي في هذه القصيدة، على التشخيص، والتجسيم لبيان حالة حزنه، وهو في هذا الميدان بارع، بحيث لا تشعر بتكلفه في رسم مثل هذه الصور، أو نفور مكوناته الحسية أو العقلية، التي تعتمد اعتماد كبيرا على مقدرة الشاعر، وحسن إدراكه للعلاقات المتشابهة بين الألفاظ والمعاني، ودلالتها، فقد أقام علاقة وثيقة وطبيعية مثلا بين السحاب والبكاء المتمثل في المطر، إدرار الدموع فالشاعر كان يستقصي مكونات عناصر التجسيم والتشخيص، ليدلل لهما على أحزان الكون، وعناصر الطبيعة ليبرز صورة نفسه المتألمة.

ب. على مستوى المضمون:

بما أن الشاعرين (ابن الرومي والخنساء) قد اختلافا على مستوى الشكل فهما كذلك اختلفا على مستوى المضمون إذ نجد:

–الخنساء في قصائدها خصت رثائها لأخويها صخر ومعاوية عكس ابن الرومي الذي خص رثاءه لأولاده الثلاثة، إذ قالت (الخنساء) في صخر ومعاوية :

---

(82) ديوان الخنساء: ص40.

(83) نفسه، ص18.

(84) ديوان ابن الرومي: ج3، ص288.

أرى الدهر أفنى معشري وبني أبي فأمسيت عبرى لا يجف بكائيا

أيا صخر هل يغني البكاء أو الأسى على ميت بالقبر أصبح ثاويا

فلا يبعدن الله صخرا وعهده ولا يبعدن الله ربي معاوية

ولا يبعدن الله صخرا، فإنه أخو الجود بيني للفعال العواليا

سأبكيهما والله ماحن واله وما أنبت الله الجبال الرواسيا

سقى الله أرضا أصبحت قد حوتهما من المستهلات السحاب الغواديا[85]

يتضح من هذه الأبيات أن الخنساء ترثي صخر ومعاوية اللذان كانت تحبهما كثيرا وعند وفاتهما صدمت، وحزنت فهذا الدهر أخد منها أعز الناس وهم بني أبيها حتى أصبحت عيناها لا تجف من الدموع.

وقال ابن الرومي يرثي ابنه :

تنغص قبل الري ماء حياته وفجع منه العذوبة والبرد

عدرتكما لو تشغلان عن البكا بنوم، وما نوم الشجى أخي الجهد؟[86]

في هذين البيتين نجد ابن الرومي يرثي أحد أبنائه الذي لم يذكر له اسما، فيتفجع على غيابه عنه وفقده إلى الأبد، لرحيله إلى ديار الآخرة والبعد عنه .

– من حيث العصر فهما يختلفان، فالخنساء شاعرة مخضرمة عاشت الجاهلية والفترة الإسلامية (عصر صدر الإسلام) فكانت الفترة الأول أطول، أما ابن الرومي فعاش العصر العباسي.

---

(85) ديوان الخنساء: ص144.

(86) ديوان ابن الرومي: ج1، ص401.

– تستدعي الخنساء في رثائها بدمعها لتستعين به، فمعظم قصائدها تبدأ بالمقدمات البكائية كما تلجأ الشاعرة إلى ذكر اسم المرثي في كثير من قصائدها، أما ابن الرومي فلا نجد عنده المطالع البكائية كثيرة، فهي قليله جدا بمقارنتها مع قصائد الخنساء، إذ نجده يطلب من عينيه البكاء في قصيدتين أو ثلاثة فقط. فالخنساء تقول :

بكت عيني وحق لها العويل وهاض جناحي الحدث الجليل

فقدت الدهر، كيف أكلّ(*)ركني لأقوام مودتهم قليل

على نفرهم كانوا جناحي عليهم حين تلقاهم قبول (**)

فذكرني أخي قوما تولوا علي بذكرهم ما قيل قيل

معاوية بن عمرو كان ركني وصخرا كان ظلهم الظليل

ذكرت فغالني ونكا فؤادي وأرق قومي الحزن الطويل

أو لو عزّ كأنهم غضاب ومجد مده الحسب الطويل

هم سادوا معدا في صباهم وساهموا وهم شباب أو كهول

فبكي أم عمرو كل يوم أنثقة محياه جميل (87)

ظلت الخنساء تبكي صخرا ومعاوية وتصور حاجة المرأة إلى أهلها وذويها طوال حياتها فهي تتذكرهما، وتفتخر بهذين الفارسين المغوارين عند مغادرتهما الحياة كما تأثر القوم على فراقهما وحزنوا عليهما.

وتقول أيضا ذاكرة اسم أخيها صخر:

(*) أكل: أوهن.

(**) القبول: النعمة.

(87) ديوان الخنساء ، ص 111.

لهفي على صخر فإني أرى له نوافل من معروفه قد تولت

ولهفي على صخر لقد كان عصمة بمولاه إن نعل بمولاه زلت

يعود على مولاه منه برأفة إذا ما الموالي من أخيها تخلت (88)

– إن معظم قصائد الخنساء تذكر فيها اسم صخر وهذه الأبيات التي بين أيدينا على ذلك فهي تتلهف على صخر، فالخنساء هنا تتلهف على فقدان أخيها إلى الأبد الذي يعتبر بالنسبة لها الفرس الشهم الشجاع .

وابن الرومي ذكر اسم ابنه الأوسط محمد مرة واحدة في قصيدته التي يقول فيها:

محمد:

ما شيء توهم سلوة لقلبي إلاّ زاد قلبي من الوجد (89)

-تلجأ الشاعرة (الخنساء) إلى خطاب عينيها بصفة الأفراد، وبصيغة الأمر، وهذا ما لا نجده عند ابن الرومي فتقول:

يا عين جودي بدمع منك مدرار جهد العويل (*) **كماء الجدول الجاري**

وابكي أخاك ولا تنسى شمائله وأبكي شجاعا غير خوار

وابكي أخاك لأيتام وأرملة وأبكي أخاك لحق الضيف والجار (90)

ظلت الخنساء تكرر جملة "وأبكي أخاك" أربع مرات متتالية، هذه الجمل بصيغة الأمر، فهي وكأنها تحث أو تطلب من نفسها البكاء وفي نفس الوقت تأمر نفسها بالبكاء

---

(88)ديوان الخنساء ، ص18.

(89) نفسه، ص18.

(*) جهد العويل: أي استفر عني جهد البكاء.

(90) ديوان الخنساء: ص75.

على أخيها، فهي تؤكد فكرة الحزن والأسى والدموع وجلال المصاب من خلال هذا التكرار المفرط على فقيد كان يتميز بخصال العظماء من شجاعة وكرم وغيرها .

-ويختلف الشاعران أيضا في كون مرثيات ابن الرومي قليلة بالمقارنة مع بكائيات الخنساء، إذ ليس منها ما يستحق الذكر إلا ما قاله في أولاده وزوجته وأمه وأخيه، وما قيل في رثاء بستان المغنية، غير أن الخنساء أكثر شعرها وأغلبه في رثاء أخويها (صخر ومعاوية) والدليل على ذلك ديوانها الذي اشتهرت به، واسمها الذي عرفت به "شاعرة الرثاء" يقول ابن الرومي في بستان المغنية، جارية أم علي:

يا هل من الحادثات من وزر للخائف المستجير أم عصر(*)

تغدو فتعدو فما ترق على أنثى وما إن تخاف من ذكر

يا بؤس للدهر ذي السفاء أما يعرق بين القياف والجزر ؟

أما يعفي على جرائم ما اســـ تقدم منه متاب منتظر؟

يمر عصراه كل منتكت ونقضه عائد على المرر

منصلت السيف (**) منصلت منشمر النبل(***) كل منشمر(91)

ولا يقل قصائد رثاءه (ابن الرومي) لبستان مغنية، روعة عن رثائه لأبنائه ففيها من التفجيع ما فيهما، ولا الطبيعة تمنحه السلوان والعزاء الذي كان عزاء لقبله قبل ذلك، فهو إذ يرثى بستان المغنية يبكي حبه الضائع.

(*) عصر: ملجأ.

(**) منصلت السيف : مجرده من عنده.

(***) نبل منشمر :

(91) ديوان ابن الرومي: ج2، ص 14.

-ويختلف ابن الرومي عن الخنساء كونه يرثي مدينة البصرة التي نظم قصيدته فيها غثر الغارة التي واجهتها، حيث ثرى هده الفجيعة العظيمة تأثيرا كبيرا على نفسيته وانعكست في شعره، أما الخنساء فلم تنظم في هذا النوع من الرثاء، أي رثاء المدن يقول في رثاء البصرة :

كم رضيع هناك قد فطموه بشبا السيف (***) قبل حين الفطام ؟

كم فتاة بخاتم الله بكر فضحوها جهرا بغير اكتتام؟

كم فتاة مصونة قد سبوها بارزا وجهها بغير لثام؟

صبحوهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه ألف عام

ألف ألف في ساعة قتلوهم ثم ساقوا السباء(****) كالأغنام

من راهن في المساق سبايا داميات الوجوه للأقدام (92)

إن هذه الأبيات من روائع الرثاء العربي، وهي تعتمد اعتمادا كاملا على الوصف دون أن تخلو من لحظات الأسى وخلجات نفس ملتاعة وهي في رثاء البصرة والتي فتحت بابا لنوع من الشعر، ازدهر في العصر الأندلسي وهو رثاء المماليك والمدن، ورثاء البصرة موضوعها موحدا متسلسلة المعاني يعتمد من خلالها على المقارنة بين البصرة المزدهرة والمدمرة معتمدا على ثقافته.

-ويختلفان أيضا في أن الخنساء لم ترثي أولادها الأربعة عندما فقدتهم في معركة القادسية، عكس ابن الرومي الذي رثى أولاده الصغار إذ يقول في رثاء ابنه هبه الله :

(***) شبا السيف : حده.

(****) سباء : الأسرى.

(92) ديوان ابن الرومي: ج3، ص339.

يا هل يخلد منظر حسن لممتع ، أو مخبر حسن

يا هل يطيب لمقلة وسن فيقر فيها ذلك الوسن ؟(*)

أم هل يبث لذاهب قرن يوما فيوصل ذلك القرن؟

كم منة للدهر كررها لم تصف منه ولا له المنن

ما زال يكسونها ويسلينا حتى نظل وشكرنا إحن

فحتى أراك يصرفه زينا فهي الزخارف منه لا الزين

يكفيك أن لا وجد مدخر أبدا و ألا دمع يخترن

أبني إنك والعزاء معا بالأمس لف عليكما كفن

فإذا تناولت الغراء أبي نيليه أن قد صنمه الجنن

أبني إن أحزن عليك فلي في أن فقدتك ساعة حزن (93)

إن ابن الرومي في هذه الأبيات يرثى ابنه هبة الله، فهو يخلد منظر ابنه الحسن ويذكر ألمه الشديد على فراقه وحزنه عليه، أما الخنساء فلم تبك وفاة أولادها وصبرت على فراقهم وقالت:« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته »(94).

إن الخنساء قد صبرت على موت أبنائها وطلبت من الله عز وجل أن تلتقي بهم في ديار الآخرة، فهي عند وفاتهم كانت قد أسلمت، ولهذا لم تبك عليهم واعتبرتهم شهداء استودعتهم الله .

(*) الوسن : النعاس

(93) ديوان ابن الرومي: ج3، ص433-434.

(94) ديوان الخنساء: ص 05.

-إن أولاد ابن الرومي ماتوا موت طبيعيا، أما الخنساء فأخويها قتلا، إذ قتل معاوية هاشم ودريدا بنا حرملة بن مرة، وقتل صخر يوم كلاب، طعنه ربيعة بن ثور الأسدي وكان ذلك سببا في وفاته، لهذا نجد أن مراثي الخنساء لا تخلو من إثارة الأحقاد وشحذا لهم واستثارة روح الحماس في نفوس أبناء قبيلتها لحثهم على المطالبة بثأر أخويها والاقتصاص من أعدائهم.

قالت الخنساء في مقتل أخيها معاوية :

فدى للفارس الجشمي نفسي وأفديه لمن لي من حميم

وأفديه بكل بني سليم بطاعنهم وبالأنس(*) المقيم

خصصت بها أخا الأحرار قيسا فتى في بيت مكرمة كريم (95)

فالخنساء هنا تتحدث عن قاتل معاوية، حينما نزل هيثم بن بكر بن هوازن فرأى غفلة قيس بن الأمرار الجشمي فتتبعه وقال أنه قاتل معاوية، ثم جاءه من خلفه وضربه بسيف فقتله.

وتقول أيضا في تحريض قومها على قتل أخيها :

أبني سليم إن لقيتم فقعسا في محبس ضنك إلى وعر

فالقوهم بسيوفكم ورماحكم وبنضخة في الليل كالقطر

حتى تفضوا جمعهم وتذكروا صخرا ومصرعه بلا ثأر

وفوارسا منا هنالك قتلوا في عثرة كانت من الدهر

(*) الأنس : هو الحي المقيم في الأرض ولم يرحل.

(95)ديوان الخنساء 129.

لا قى ربيعة في الوغى فأصابه طعن بحائفة إلى الصدر

بمقوم(*) لدن الكعوب سنانه ذرب السباه كقادم النسر

ونجا ربيعة يوم ذلك مرهقا لا يأتلي في جوده تجري

فأتت به أسن الأسنة، ضامر مثل العقاب غدت عن الوكر

ولقد أخدنا خالدا، فأجاره عوف وأطلقه على قدر

ولقد تدارك رأينا في خالد ما ساء خيلا آخر الدهر[96]

تحث الخنساء قومها على قتل أعلائها الذين قتلوا صخرا والأخذ بالثأر بالهجوم عليهم بالسيوف والرماح متذكرة ما فعلوه بأخويها .

– كان ابن الرومي شديد الطيرة يغلو فيها ويحتج لها، وهذا لا نجده عند الخنساء، وكان سبب تطيره هذا هو الظروف المعقدة التي عاشها وتلاحق الأزمات والوفيات كل ذلك ترك في نفسه آثار سيئة، ومما زاد في انفعاله ظلم الناس له، وقد وصل الأمر أن لا يخرج من منزله أياما «حتى أن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله من الطيرة فبعث إليه خادما اسمه إقبال ليتفاءل به. فلما أخد ابن الرومي أهبته للركوب قال للخادم: انصرف إلى مولاك، فأنت ناقص، ومنكوس اسمك » [97]

وابن الرومي كان يأخذ بالطيرة فقال :

أيها المتحفي بحول وعود أين كانت عنك الوجوه الحسان

قد لعمري ركبت أمرا مهينا ساءنا فيك أيها الخلصان

(*) بمقوم : الرمح.

(96)ديوان الخنساء: ص57.

(97)عمر فروخ: ابن الرومي، ص11.

فتحك المهرجان بالحول والعو ر أرانا ما أعقب المهرجان

كان من ذاك فقدك ابنتك الحر رة مصبوغة بها الأكفان

وتجافي مؤمل لي خليل لج منه الجفاء والهجران

وعزيز علي تفريع خل لا يدانيه عندي الخلان

غير أني رأيت إذ كارة الحز م وإشعاره شعارا يصان

لا تهاون طيرة تلقيك وانظر واستمع ثم ما يقول الزمان [98]

(98) ديوان ابن الرومي: ج3 ،ص391.

الخلاصة :

وفي الأخير نستنتج من خلال الموازنة بين ابن الرومي والخنساء أن لكل شاعر ميزته الخاصة وتعتبره الخاص في نظم مرثياته، ولكل واحد خصائص تميزه عن الأخر ويظهر ذلك جليا عند دراستنا لهما فقد خلصنا إلى أن الشاعرين، قد يتفقان في بعض الخصائص فكلاهما تعرض لفجيعة الموت عندما توفي أولاد ابن الرومي وإخوة الخنساء وبهذا فقد داقا مرارة الموت، فكانا يتحسران ويتألمان على حدة الكوارث والشدائد التي حلت بهما بالإضافة إلى اشتراكهما في موضوع واحد ألا وهو غرض الرثاء فهدا من شروط الموازنة أي الاتحاد في الموضوع ، إضافة إلى هذا يتقاطعان في العاطفة التي يسودها الحزن والأسى إذ نجد نفسيتهما تلتهب وتتأثر وتتألم لفراق الأهل والأحبة فهذا بالضرورة شعور صادق نابع من القلب، لأنه تعبير عن تجربة عاشها كلا الشاعرين مما جعل مراثيهما تزخر بالألفاظ الحزينة والصور التي تعبر عن هذا الألم وتكشف عما هو في القلب، واختلفا أيضا في مرثياتهما التي أغلب مراثيها لأخيها صخر، كما نجد البكاء صفة ملازمة للخنساء وهي في معظم قصائدها تبكي على أخويها، أما ابن الرومي فلم يبكي في مرثياته ك لأن عادة الرجال لا يبكون ، كما تعددت أنواع المراثي عند ابن الرومي على غير الخنساء، وعلى هذا الأساس فتلك الشكول التي يلتقي فيها ابن الرومي مع الخنساء قبل أن تكون إلتقاء لغات وأفكار كانت إلتقاء أحزان وآلام وأهات ونبوغ كل واحد منهما في هذا الغرض الشعري أضفى على الشعر العربي طابعا خاصا جعل هذا الفن يتطور على مر العصور، حيث تطورت نماذجه وتعددت دواعيه وبواعثه، ويكتسب الرثاء وأهميته، في الشعر العربي كونه غرض يرتبط بالوجدان من ناحية وبتعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد من ناحية أخرى لأنه جمال للقيم شأنه شأن المدح وقد أعطى للنساء مجالا للبوح عما بداخله ومن الطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في أشعار المراثي تفوقا لا نجده في فن آخر غير هذا الفن، ذلك أن المرأة بتكوينها النفسي والعاطفي والاجتماعي هي أكثر استعدادا فعاطفتها أسرع انبعاثا وأعمق شعورا، وقدرتها على

البكاء وبعث مكامن الشجن واللوعة التي لا تداينها قدرة الرجال وبهذا فإن شاعرية المرأة تألقت في هذا الفن تألقا عظيما وقد أسهمت المرأة فيه إسهاما لم يحققه إلا قلة من الرجال وهو إسهام لم تقدم مثله في سائر الفنون الشعرية.

وفي الأخير يمكننا القول أن شعر الخنساء لا يصل إليه إلا شاعر كبير وأن موهبتها الشعرية كانت ترشحها لأن تكون من فحول الشعراء، وأن موهبتها الشعرية كانت مختلفة الفنون، ولكنها أثرت الرثاء فكان شعرها رقيقا وهذا لا يعني أننا أنقصنا من رثاء ابن الرومي فهو شاعر كبير وأبدع أيضا في هذا الغرض.

السيرة الذاتية لابن الرومي:

الرثاء أقدر أنواع الشعر على نقل المشاعر النبيلة الصادقة، وأشد أنواع الرثاء تأثيرا في النفس رثاء الأبناء والشاعر "ابن الرومي" اشتهر بكثير من أغراض الشعر العربي نذكر منها الرثاء، حيث سلك هذا المسلك ونبغ فيه، وما يهمنا هنا هو حياة "ابن الرومي" والتعريف به فمن هو ؟

1.حياتـــــه:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور. الشاعر المشهور وصاحب النظم العجيب.[99]

ولد علي بن العباس (ابن الرومي) يوم الأربعاء، بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب (2 رجب) سنة 221 (21 حزيران 836 هــ) ببغداد في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر بن المنصور. [100]

ويتضح من اسم جده أنه ليس عربي الأصل، ومن خلال شعره نلاحظ أنه كان يوناني الأصل إذ يقول:

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجًى ومجد وعيدان صلاب المعاجمُ

وقد نسب نفسه أحيانا إلى الروم إذ يقول:

مولاهم، وغديّ نعمتهم والروم- حين تنصني- أصلي[101]

(99) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن بسج)،ج1، ص:07.

(100) عمر فروخ : ابن الرومي ، ط2، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت ، 1949م، ص:05.

(101) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن بسج)،ج1، ص:07.

وكانت أمه فارسية، وافتخر بذلك كثيرا في شعره من مثل قوله:

كيف أغضي على الدنية والفر   س خئولي، والروم هم أعمامي(102)

وطلب " ابن الرومي " العلم طلب مجتهد في تحصيله، فقد عني بعلوم العربية كالنحو واللغة والأدب وبالعلوم العقلية والطبيعة، وألم بأخبار الفلاسفة وبعض مداهبهم وبعلم الكلام. ولكن من التمحّل البعيد أن ننسب له معرفة باللغة اليونانية أو الفارسية.

وكذلك من الصعب أن نعلم أسماء أساتذته على الحصر(103).

تزوج ابن الرومي مرتين، ورزق من زواجه الأول – فيما يظهر– ثلاثة بنين: هبة الله ومحمد، وثالثا لم يذكر اسمه في الديوان. وقد توفي اثنان منهما أو ماتوا جميعا ثم ماتت أمهم قبل موته هو. وتزوج ابن الرومي ثانية ورزق أولادا آخرين (104).

كان ابن الرومي ضعيف الجسم نحيلا في بعض الطول ولقد تقوس ظهره لما تقدمت به السن وكان صغير الرأس يلبس عمامة. وكان ذا لحية قصيرة ولكنها كثة (كثيفة). وقد أدركه الشيب في رأسه ولحيته باكرا، وكذلك أدركه الصلع. وكان ابن الرومي يكره خضاب شعره فتركه أبيض ولكنه كان في أول الأمر سيتأصل الشعرات التي تبيض ثم أضرب من ذلك أيضا، وسخ الثوب (105).

بالإضافة إلى هذا فإنه صرف معظم أيامه في بغداد ولا يبارحها قليلا حتى يرجع إليها متشوقا،ومما يذكر أنه قصد مرة سامراء انتجاعا للرزق، وطالت فيها إقامته بعض الطول، ولكن الحظ لبث له خائنا، فحن إلى بغداد وما لبث أن عاد إليها(106).

(102) شوقي ضيف: الفن ومداهبه في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص200.
(103) عمر فروخ : ابن الرومي ، ص:06.
(104) نفسه، الصفحة نفسها.
(105) نفسه، ص:6–7.
(106) حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 759.

ولم يكن هذا كل ما هناك،فقد كان فيه ضيق خلق،وكان فيه اختلال في أعصابه،لعله كان ثمن نبوغه، فلم يشعر بشيئ من الفرحة بالحياة،بل شعر بأنها كأس مر يتجرعه فانقلب ساخطا على كل ما حوله، حتى على من أكرموه وفسحوا لهم في مجالسهم وأعدقوا عليه من أموالهم،فهجاهم، ونفروا منه،فاحتجوا عنه وانقلب المستقبل الباسم الذي كان ينتظره إلى مستقبل تعس بائس كله حرمان[107].

ولعل الظروف التي مر بها ابن الرومي من توالي الأزمات التي ألمت به بدءا بوفاة أبيه ثم أمه وأخيه وأبنائه،كل هذا ترك في نفسه آثارا سيئة لم يستطع أن يصبر عليها ومما زاد في تأثره ظلم الناس له، وابتعاد الأصدقاء عنه فصار متشائما من كل شيئ وانعكس كل ذلك على شعره مما جعله يمدح اليوم ويهجو ممدوحه غدا، ومن الأخبار التي نقلها معاصروه أنه كان شديد التطير، وبلغ من تطيره أنه كان يقيم الأيام لا يخرج من داره إذا قرعت أذنه صبيحة اليوم كلمة سيئة[108].

كان يتشائم من بعض الأسماء منها مرّة، فإذا قيل له جاءك مرة أغلق الباب على نفسه ولا يخرج من منزله، ومما كان يتطير منه أيضا ركوب البحر أي من الماء حيث يقول:

لقيت من البّر التباريج بعدما لقيت من البحر ابيضاض الذوائب

ولكن، البعض من المؤرخين والرواة بالغوا في وصف طيرته وتشاؤمه ولا أظن أنه كان كما وصفوه، خصوصا في تطيره من الماء[109].

(107) شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في الشعر العربي، ص 200-201.

(108) أحمد حسن الزيان: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، (د،ت)، ص 277.

(109) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن يسج)،ج1، ص 8.

2.أعماله:

لكل شاعر أعماله الخاصة به التي تميزه عن غيره ولابن الرومي أعمال كثيرة حيث ترك لنا ديوانا ضخما،يتناول فيه الحياة بكل ما فيها من ملذات وآلام، وأفراح وأحزان والموت والشقاء والسعادة، يتناول الناس وطرق المعاش والعادات والملابس والطبيعة والنساء والغناء والمعازف والخمرة، بالإضافة إلى الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغزل ووصف وغيرها من الفنون نذكر هذه الفنون:

- **المديح:**

سار فيه على نهج التقليديين من حيث التقديم بالنسيب، ولكن على طريقته التي تعتمد التفصيل والتقصي في المعاني إذ يغوص فيها فيستخرج النادر منها من أماكنه، ويبرز ذلك في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية.
ويربط الدارسون هذه الظاهرة، بالمنهج الإعتزالي ويذهبون إلى القول بأنه كان معتزلي وبهذا فإن منهجه هذا يمثل قمة ما وصل إليه في التجديد دون غيره من معاصريه(110) .

- **الهجاء:**

فن حاز فيه الرتبة العليا، وبرز على أقرانه وتفوق عليهم، وليس عجيب أن يفروا من الميدان خوفا من لسانه السليط، وهجاؤه نوعان:مضحك ساخر، وآخر مقذع فاحش فيه هتك للأعراض، وقد تطول قصائده لتبلغ،كما في المديح،عشرات الأبيات وربما المئات وقد اعتمد في هجائه الساخر على عيوب المهجو الخلقية فاستغلها وكبر حجمها طولا وعرضا، أو أنه كان يمسخ الصورة فيصغرها حتى لكأنك تقف أمام قزم يثير الضحك أو

(110) ديوان ابن الرومي: (شرح أحمد حسن يسج)،ج1، ص 10.

التقزز أحيانا، كما في هجائه لصاحب اللحية، أو في تصويره بخل عيسى بن موسى وجعله يتنفس من منخر واحد لشحه، أو صورة الأحدب التي تبعث على الإشمئزاز [111].

- **الرثاء:**

إن ابن الرومي إندفق من رثائه إنفاقا؛ لأنه يرثي من يحب ويرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتجمع المتراكم شديدة أيضا. فهو يرثي أبناءه ويرثي شبابه المتهاوي ويرثي بستان المغنية التي طواها الردى بعد أن كانت فتنة للقلوب والأسماع، ويرثي أمثال هؤلاء أو يرثي مدينة البصرة بعد أن دخلها الزنج وعاشوا فيها فسادا[112].

ولهذا فإن إبن الرومي قد تفوق على أقرانه في هذا الفن أيضا حيث جدد في صوره ومعانيه، واقترب إلى الوجدان والصدق وتناول الموضوع بطريقة مختلفة.

ومن الصور الجديدة في قصيدته الدالية،التي رثى فيها ابنه الأوسط،صورة الولد وهو ينازع <<ويدوي القضيب من الزند >>، إلى ذلك هو لم يصطنع الفضائل في الميت،بل تحدث على أثر الفاجعة في نفسه وعن مكانة ولده بصدق[113].

- **العتاب:**

احتل قسطا وافرا من ديوانه،يعاتب أبا القاسم التوزي الشطرنجي، وهو من أمهر لاعبي عصره بالشطرنج فضلا عن كونه صديق لابن الرومي، وعتابه له؛ لأنه لم يجزل له عطاء[114].

---

(111) نفسه، ص 11.

(112) حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص 763.

(113) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسين بسج)، ج1، ص 11.

(114) نفسه، الصفحة نفسها.

- **الغزل:**

لم يتحدث عن الغزل كثيرا، حيث نجده مستقلا تارة، وفي مقدمات القصائد تارة أخرى، لم يستعمل صيغة التذكير بالخطاب، كما فعل البحتري وأبو نواس.من غزلياته:

لا شيء إلا و فيه أحسنه فالعين منه إليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

و انظر إلى قوله في جارية سوداء:

أكسبها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب والحدق[115]

- **الوصف:**

ابن الرومي من أشهر شعراء الوصف عند العرب، وذلك بوصفه عوامل مختلفة منها إحساسه المرهف ووسواسه التطيري الذي جعله دقيق الملاحظة، دقيق التمييز،شديد الالتصاق بالأشياء، شديد الانكفاء على نواحي الجمال أو القبح فيها، ومنها خياله المتيقظ الشديد الانطلاق، الذي يتناول الشئ بقوة إحساسه، ويضخمه تضخيما تمثيليا، تصويريا ويحييه إيحياء إيحائيا، ويرسم لوحاته رسما واضح الخطوط بين الظلال. وأكثر إبن الرومي من الوصف،فكان في مدحه ورثائه وصافا،وكان في غزله وهجائه وصافا.وكان في كل سانحة من سوانح المكان والزمان وصافا.و قد تناول في وصفه الماديات والمعنويات أو ما يقرب من المعنويات.وكان وصف إبن الرومي لما يحب ويكره[116].

وهناك ثلاثة أنواع رئيسية نميزها في درس وصف ابن الرومي وهي: وصف الطبيعة ووصف المأكل ثم السخر.

---

(115) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص11.

(116) حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص 767-768.

ففي وصف الطبيعة يقول في الرياض:

ورياض تخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة في الأبراد.

ذات وشيء تناسجته سوار لبقات بحوكه وغواد(117)

وهكذا تبدو الأرض كالفتاة الحسناء ظهرت بأبهى حللها، ووشيها الذي نسجته نسجا رائعا مدهشا.وابن الرومي اشتهر بحبه للأطعمة الشهية والحلوى،فلذلك وصفها،كما وصف الفاكهة: الموز والعنب، كما وصف كل ما تشتهيه نفسه، أو تتوق إليه(118).

3.وفاته:

تعددت الأسباب والموت واحد،و لكل إنسان أجل،فبعد الحياة التي عاشها ابن الرومي اختطفه الأجل بالسم، وكان هذا ببغداد يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى عام 283 على الأصح و 14 حزيران 896م.سممه القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بسبب فحش لسانه ونيله من الناس جميعا ومن القاسم على الأخص (119). ويقال في بعض الروايات إن القاسم دس من سمه في أكل إبن الرومي وهو حاضر.فلما أحس ابن الرومي بالسم قام مسرعا : فقال له القاسم: إلى أين؟ فأجابه:إلى حيث أرسلتني فقال له: سلم على والدي عبيد الله، فأجابه: ما طريقي على النار، فخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات. وقال أبو عثمان الناجم الشاعر: دخلت على إبن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه، فلما قمت من عنده قال لي:

أبا عثمان أنت حميد قومك وجودك للعشيرة دون لومك

(117) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص12-13.
(118) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص13.
(119) عمر فروخ: ابن الرومي، ص8.

تزود من أخيك فما أراه　　　　يراك ولا تراه بعد يومك[120]

(120) ديوان ابن الرومي:(شرح أحمد حسن بسج)، ج1، ص10.

4. آراء النقاد في ابن الرومي:

يعد ابن الرومي من الشخصيات البارزة في العصر العباسي نظرا لنبوغه في الشعر وامتلاكه موهبة فطرية وقدرات راقية، فهو شاعر واسع الثقافة متبحر في فنون المعرفة متنوع الإنتاج وسريع البديهة وكثير النظم وطويل النفس في قصائده.

وقد انصرف الدارسون إلى تتبع أحداث حياته وإقامة الصلة بينها وبين أدبه وعلى هذا الأساس سنعرض بعض الآراء التي رآها النقاد في شعره:

***إبن رشيق:** يقول في ابن الرومي: << أما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتتانه، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصال يقال: أهجى من ابن الرومي>>(121)

فابن رشيق في نظرته الثاقبة يؤكد على أن ابن الرومي من أحسن الشعراء وذلك لكون أسلوبه أقوى في التركيب والدلالة وانتقاله في اللفظ واختراعه للمعاني، ولغلبة غرض الهجاء على شعره اشتهر به فلا يوجد شاعر أهجى منه.

***المرزباني:** يقول: <<إنه أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعرا، وأحسنهم أوصافا وأبلغهم هجاءا، وأوسعهم افتتانا في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه،يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره، ويلزم نفسه ما لا يلزمه، ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يحمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ.وهو في الهجاء مقدم، ولا يلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول وخبث منطق. ولا أعلم أنه مدح أحدا من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه فهجاه...فلذلك قلت فائدته من قول الشعر، وتحاماه الرؤساء. وكان سببا لوفاته>>(122)

---

(121) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص780.

(122) نفسه، الصفحة نفسها.

ويقول: << وأخطأ محمد بن داوود فيما رواه لمثقال (الوسطى) من أشعار ابن الرومي التي ليس لها في طاقة مثقال ولا أحد من شعراء زمانه أن يقول مثلها إلا ابن الرومي>>[(123)].

فالمرزباني في رأيه الأول يرى بأن ابن الرومي كان أشعر الشعراء بعد البحتري من خلال كثرة شعره وغزارته وحسن وصفه وهجاءه المشهور ومبالغته فيه فهو يعالج شتى الفنون الشعرية ويتفنن في قوافيه وضروبه ومعانيه دقيقة وواضحة وألفاظه عذبة بحيث لا يفارق اللفظ معناه. أما في الهجاء فلا يسبقه إليه أحد من شعراء عصره، ولكن يمدح أحيانا أجناسا من الناس منهم الوزراء والكتاب والتجار ولكن سرعان ما يعود لهجاءهم فهو يمدح اليوم ويهجو غدا وهذا ما أدى إلى النفور منه وبذلك قلت فائدته من قول الشعر، وهجائه هذا كان سببا في وفاته.

أما في رأيه الثاني فلم يساند محمد بن داوود حين قلل من شعر ابن الرومي وأهميته فالمرزباني يؤكد على أنه (ابن الرومي) من أحسن شعراء عصره.

***العقاد:** يقول العقاد في شعر ابن الرومي وشاعريته <<إذن في ديوانه وجدنا مرآة صادقة ووجدنا في المرآة صورة ناطقة لا نظير لها نعلم من دواوين الشعراء وتلك مزية تستحق من أجلها أن يكتب فيها كتاب>>[(124)].

لقد وجد العقاد في ديوان ابن الرومي عاطفة صادقة في شعره ووجد فيه شاعريته فهو صورة ناطقة لا مثيل لها في دواوين الشعراء.

***طه حسين:** يقول عنه: << كان سيئ الحظ في حياته،لم يكن محببا إلى الناس وإنما كان بغيضا إليهم، وكان محسدا أيضا كان حاد المزاج مضطربه معتل الطبع ضعيف

---

(123) محمد موسى الوحش: موسوعة أعلام الشعر العربي، دار دجلة عمان، 2008، ص114.

(124) محمود عباس العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1991، ص11.

الأعصاب>> [125].

يرى طه حسين أن ابن الرومي كان تعيس الحظ في حياته ومنبوذا لا يحبه الناس لأنه كان ذا شخصية مضطربة وغريب الطباع وكان حاد المزاج شديد التطير.

***روفون جست:** يقول: <<ومن خصائص شعره اللافتة للنظر إتصال الجدل فيه وتماسكه في مقابل جدل بعض الشعراء العرب الآخرين في عصره الذين يقدمون أشياء واضحة ولكنها غير متصلة بعضها ببعض إلا إتصالا طفيفا. والخاصة الأخرى التي نلاحظها جرأته في صوغ تجاربه في صورة موضوعات وألوان من الحوار يدخلها في داخل قصائده وفي تقليد الشخصية الموجودة في واحدة أو اثنين منها، وفي طرق التغيير التي قلما ترد في شعر غيره من شعراء العربية في عصره، حتى يمكن اعتبار ابن الرومي مبتكرها أو مكتشفها، إذ لا يمكن أن يكون أحدهما من غيره وقد اختلف نجاحه في هذه التجديدات التي أدخلها في قصد واعتدال. ولو كانت تطورت في أيدي غيره لأضافت العنصر القصصي (الدرامي) إلى الشعر العربي، ولكن من بعده أهملوها >> [126].

يذكر روفون جست في هذا القول خصائص شعر ابن الرومي وهي الجدل والنقاش وتمسكه به، أما الخاصية الأخرى فهي جرأته التي جعلت من شعره موضوعات متعددة ومتنوعة بتجاربه في الحياة فقصائده يغلب عليها الحوار وهو دقيق في التعبير.

(125) طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص134.

(126) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص780.

السيرة الذاتية للخنساء:

لقد عرف العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي إذ كان النساء والرجال جميعا يندبون الموتى. لكن هذا الرثاء لم يكن عند العرب فقط.حيث كان تابعا للموت فكان كل ميت يتبعه رثاء، وندب عليه وكانوا يرثونهم إحساسا منهم أنهم سوف يطمئنون في مراقدهم ومع مرور الزمن أصبح يفقد هذه الغاية عند نهاية عصر الجاهلية. ومن بين الشاعرات اللواتي اتخذن هذا الاتجاه الخنساء فمن هي؟.

1.حياتها:

هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهتة، وقيل (نهيه) بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، وتكنى أم عمر، ومصداق ذلك قول أخيها صخر:

أرى أم عمرو لا تمل عيادتي وملّت سليمي مضجعي ومكاني[127].

والخنساء لقب غلب عليها، لقبت به تشبيها لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها[128].

وخطبها دريد بن الصمة إلى أبيها فقال له أبوها: مرحبا بك أبا قرة إنك للكريم الذي لا يطعن في حسبه والسيد الذي لا يرد عن حاجته والفحل الذي لا يقرع أنفه، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة. ثم دخل إليها وقال لها:يا خنساء، أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك، وهو ممن تعلمين (ودريد- يسمع قولها) فقالت: يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة، ثم أنشأت تقول:

---

(127) أحمد أبو شاور: موسوعة أميرات الشعر العربي، ص 149.

(128) ديوان الخنساء: دار صادر،بيروت،(د،ت)،ص 5.

أتخطبني، هبلت، على دريد وقد طرّدت سيد آل بدر

معاذ الله ينكحني حبركي يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أمسيت في جشم هديا لقد أمسيت في دنس وفقر[129]

فسمع ابن الصمة ردها فذهب وهجاها. يقول:

لمن طلل بذات الخمس أمس عفا بين العقيق فبطن ضرس

أشبهها غمامة يوم دجن تلألأ يرقها أو ضوء شمس

فاقسم ما سمعت كوجد عمرو بذات الخال من جن وإنس

وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أمثالي ونفسي[130]

إلا أن القدر شاء وتزوجت مرتين،فاقترنت في المرة الأولى بابن عمها رواحة بن عبد العزيز السلمي، وكان يلقب بعبد العزى قبل إسلامه،فرزقت منه بولد اسمه عبد الله ويكنى بأبي شجرة. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن زوجها مات عنها فيما يرجع البعض الآخر انفصالها عنه. أما في المرة الثانية فتزوجت من إبن عم آخر لها هو مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له أولادا اشتهروا جميعهم بالفروسية وقول الشعر نذكر أسماءهم يزيد ومعاوية وعمرو ابنتها الشاعرة عمرة بنت مرداس[131] .

والخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعد من الطبقة الثانية في الشعر. وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر[132] . وكان معاوية شقيقها وقد قتله هاشم وزيد المرّيّان، و كان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الأسدي، فاحتمل الطعن

---

(129) أحمد ابو شاور: موسوعة أميرات الشعر العربي،ص151.

(130) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت)،ص 6.

(131) أحمد أبو شاور:موسوعة أميرات الشعر العربي،ص 150.

(132) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،ص 7.

عاما ثم توفي وهو متأثرا بها فحزنت عليهما حزنا شديدا وأخذت برثائهما وبالبكاء عليهما حتى عميت[133].

وكان صخرا أحبهما إليها. واستحق ذلك لأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محفوظا في العشيرة وأجمل رجل في العرب فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه وترثيه وفيه جلّ مراثيها. وكانت في أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخواها معاوية و صخر. [134]

ولما جاء الإسلام وفدت الخنساء على الرسول(صلى الله عليه وسلم) مع قومها وأنشدته من شعرها وأسلمت بين يديه هي وقومها. ولم تترك الخنساء الحزن على أخويها ورثاءهما على الرغم مما خوطبت به في ذلك. ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة- وكان لها من العمر خمسون عاما- قال لها عمر، وقد رأى شدة حزنها على أخويها: لماذا تحزنين عليهما وهما في النار؟ فقالت له: ذلك أدعى لحزني عليهما، لقد كنت من قبل أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار. [135]

وقيل أنها أقبلت في خلافته حاجة فنزلت بالمدينة بزي الجاهلية. فقام إليها عمر في أناس من أصحابه فدخل عليها فإذا هي على ما وصف له. فوعضها وقال لها:إن الذي تصنعين ليس صنع الإسلام وإن الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم. فقالت: اسمع مني ما أقول في عزلك إياي ولومك لي. فقال: هات. فانشدته من شعرها في أخويها فتعجب من بلاغتها وقال: دعوها لا تزال حزينة أبدا. [136]

---

(133) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ج1،ط4،دار العلم للملايين،بيروت،1981،ص 317.

(134) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،ص7-8.

(135) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ص 317.

(136) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،ص 9.

وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة 16هـ (638م) وأوصتهم من أول الليل: يا بني إنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم.ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها.فتيمموا وطيسها. وجالدوا رسيسها. تظفروا بالغنم والكرامة. في دار الخلد والمقامة.فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم.فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم. فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة. وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الأربعة (وكان لكل منهم مائتا درهم) حتى قبض. (137)

2.أعمالها:

للخنساء ديوان شعر في رثاء أخويها صخر ومعاوية وأكثره في صخر (138)فليس في شواعر العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق الخنساء في رصانة شعرها، ورقة لفظه، وحلاوة جرسه، ولربما ضارعت في هذه الصفات الشعراء الفحول.وقد غلب في شعرها الفخر والرثاء. أما الفخر فلأن أباها أمثل قومه،وأخويها خيرا مضر، وأما الرثاء فلفجيعتها فيهم طول وجدها عليهم. والأسى يدق الشعور ويرق العاطفة، ويفتق القريحة في الرجل فكيف به في المرأة، وأتت في رثائها بالمعجب المعجز. وظلت الخنساء في شعرها بدوية جاهلية، فلم تتأثر بالإسلام كثيرا ولا قليلا. (139)

(137) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،ص10-11.

(138) حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص 290.

(139) أحمد حسن الزيات:تاريخ الأدب العربي،ص 150.

3.وفاتها:

لكل إنسان أجل فبعد الحياة الطويلة التي عاشتها الخنساء، إلا أن القدر اختطفها وكانت نهايتها، إلا أن الروايات اختلفت في تاريخ وفاتها فهناك من قال أنها توفيت في أول خلافة عثمان سنة 24هــ(646م) وكان موتها في البادية [140]. وقيل بل في سنة 42هــ(663م) في أيام معاوية[141].

4.آراء النقاد في الخنساء:

مثلما تعددت آراء النقاد في ابن الرومي فقد حظيت الخنساء هي الأخرى بالعديد من الآراء سواء أكان ذلك من طرف النقاد القدامى أم المحدثين، لأنها تعد رمزا بارزا من رموز تراثنا العربي القديم ومن بين هذه الآراء نجد:

***النابغة الذيباني:** كان النابغة في العصر الجاهلي يحكم بين الشعراء وكانوا يذهبون إليه ويسمعونه من أشعارهم فأنشدته الخنساء بعضا من مراثيها وقبل أن تنشده (الخنساء) سبقها الأعشى وحسان بن ثابت فأعجب بشعرها كثيرا وقال: <<والله لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) سبقك فأنشدني آنفا لقلت أنك من بالموسم>>[142] .

إذن نفهم من هذا القول أن الأعشى هو من أشعر الذين أنشدوا النابغة، والخنساء تليه في المرتبة الثانية بجودة شعرها.

***جرير:** فقد سئل جرير عن أشعر الناس فقال: <<أنا لولا هذه الخبيثة، يعني الخنساء>>[143].

---

(140) ديوان الخنساء:(تق عبد السلام الجوفي)،ص11.

(141) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ص 318.

(142) طه أحمد ابراهيم:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت،2006،ص 19.

(143) أحمد أبو شاور:موسوعة أميرات الشعر العربي،ص 153-154.

ونفهم من قول جرير أنه يرى نفسه أشعر الناس شعرا، لولا الخنساء التي تضاهيه في المكانة.

***بشار بن برد:** ونسبه إليه قوله: <<لم تقل امرأة قط شعرا إلا تبين الضعف فيه...فقيل له: أو كذلك الخنساء فقال: تلك فوق الرجال>> (144)

فهو يرى أن شعر النساء عادة ما يتميز بالضعف والركاكة، أما شعر الخنساء فكان أحسن شعرا لدرجة أنه يفوق شعر الرجال.

***المبرد:** لقد اعتنى أئمة الأدب بشعر الخنساء حيث يقول المبرد عن شعرها: <<من أحسن المراتب ما خلط مدح بتفجيع واشتكاه بفضيلة لأنه جمع التوجع الموجع تفجعا والمدح البارع اعتذر عن فراط التوجع باستحقاق المراتب وإذا وقع نظم ذلك الكلام صحيح ولهجة معربة ،ونظم غير متفاوت فهو العناية من كلام المخلوقين وكذلك رثاء الخنساء>> (145).

نفهم مما تقدم أن شعر الخنساء من أحسن المراتب خاصة في غرض المدح والشكوى والرثاء.

***أحمد الموفي:** حيث يقول: <<و الشاعرات اللائي برزن في وصف أحزانهن في الغالب لا يبلغن ما بلغته الخنساء كما أنهن لا يطللن في وصف مشاعرهن إطالتها>>(146).

يؤكد أحمد الموفي في هذا القول أنه لا توجد شاعرة تنافس الخنساء في وصف حزنها وألمها لأن الشاعرات الحزينات يطلن في وصف مشاعرهن عكس الخنساء.

---

(144) أحمد أبو شاور:موسوعة أميرات الشعر العربي، ص 154.

(145) المبرد:التعازي و المرائي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1996،ص28،27.

(146) أحمد الموفي:المرأة في الشعر الجاهلي،ط2،دار الفكر العربي،القاهرة،1836،ص 290.أحمد أبو شاور:مو

*__ابن رشيق:__ يقول عن الخنساء: << الخنساء من أفضل النساء وصفا وتعبيرا عن عميق أحزانها وهي الشاعرة الوحيدة التي ذكرها ابن سلام في طبقة المراثي>> [147] .

فهو يرى أنها من أحس النساء في التعبير وتصوير الحزن والمآسي والدليل على ذلك ذكرها في كتاب" طبقات فحول الشعوراء" لابن سلام الجمحي.

(147) ابن رشيد: العمدة في محاسن الشعر ونقده، (دون معلومات)، ص123.

إن شعر الرثاء قد اتخذ له ساحة في الشعر الجاهلي وكانت له مكانة متميزة مقارنة بالأغراض الأخرى فقد اهتمت به كتبر التراث رواية وشرحا، وشعر الرثاء هو شعر الأحزان التي تنتاب الإنسان إثر فقدان شخص عزيز، واتخذ لنفسه طبيعة اختلفت من خلالها نوعا ما الأغراض الأخرى منها.

وككل بحث أكاديمي خلصنا في ختام موضوعنا هذا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- موضوع الرثاء من عيون الشعر العربي باعتباره موضوعا بكائيا يهدف إلى إظهار لوعة الفراق، وهو شعر يقترب من الفطرة ويبتعد عن الصنعة.

- يستخدم الشاعر من الألفاظ أشيعها وأعلقها في الذاكرة وأيسرها على اللسان.

- يشتهر الرثاء بمقدمات بكائية.

- غياب المقدمة الغزلية والطللية التي كانت تقليدا متبعا في الشعر بعامة.

- إشتراك الطبيعة في الحزن.

اتفاق ابن الرومي مع الخنساء في الحزن والألم والأسى وتفجع كل واحد منهما بسبب موت أحبائهما .

- الصدق بالنسبة لكلا الشاعرين في نقل هذه الوقائع بلغة شعرية راقية.

- أغلب شعر الخنساء وابن الرومي ذاتي يعبر عن وقائع حقيقية عاشها كل واحد منهما.

- ارتباط شعرهما من الحياة والموت وقدرتهما على التعبير عما يدور في داخلها إزاء المصائب التي حلت بهما مصورين عجزهما وضعفهما أمام هذه الحقيقة التي لا يمكن مواجهتها.

بروز موقفهما من الحياة والموت وقدرتهما على التعبير عما يدور في داخلهما إزاء المصائب التي حلت بهما مصورين عجزهما وضعفهما أمام هذه الحقيقة التي لا يمكن نواجهتها.

تمتاز قصائد كل من ابن الرومي والخنساء بميزة فريدة من في جميع القصائد تدور حول موضوع واحد وهو الرثاء وما يتصل به من بكاء على الميت ومن تفجع وعزاء.

- أما أوجه اختلافهما فبرزت في نقاط منها :

- رثاء ابن الرومي لأولاده والخنساء لم ترثي أولادها بل هي بكت على أخوتها صخر ومعاوية

- يختلف ابن الرومي مع الخنساء في كونه خص برثائه رثاء المدن .

كان لغرض الرثاء أهمية كبيرة تتمثل في مداواة النفس من الجراح والأحزان التي يخلفها فقدان قريب وما يزال هذا الغرض وما يؤديه من وظائف متعلقة بالجانب النفسي من حياة الإنسان ذا أثر إلى يومنا هذا، فهو ذلك غرض شامل للأغراض الأخرى، كما أنه يؤديه من تباين بما يختلج النفس أثناء المصائب، ولهذا كان الشاعران من أشد الناس انفعالا وتأثرا، وطالما أنهما لا يختلفان عن غيرهما بالنسبة لمسألة الموت الذي سلخ عنهما بعض الأعزاء، فإنهما وقفا كثيرا أمام هذه المأساة الإنسانية برثاء أحبائهما وأقاربهما وكل من كانا يهتمان لأمره.

قائمة المصادر والمراجع:

-أ-

1) أبي القاسم بن بشير بن يحي الآمدي البصري: الموازنة بين أبي تمام والبحتري دار الكتب العلمية، بيروت ط1،2006.

2) أحمد أبو شاور: موسوعة أمبرات الشعر العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، 2010.

3) أحمد الزاوي: مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، (د.ت).

4) أحمد الموفي:المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي،القاهرة ، ط2 1839.

5) أحمد حسن الزيا ت: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، (د، ت).

6) أحمد شايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط10 1994م.

7) الخنساء: الديوان،(تق عبد السلام الجوفي)، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ت).

8) الخنساء: الديوان، (تق كرم البستاني) ، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

9) الخنساء: الديوان، (شرح أبو العباس ثعلب)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 4، 2004م.

10) الخنساء: ديوان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

11) المبرد:التعازي و المرائي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1996،1.

-ب-

12) ابن الرومي: الديوان، (شرح أحمد حسن بسج)، ج 1-2-3، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط3، 2002.

13) ابن رشيد: العمدة في محاسن الشعر ونقده، (دون معلومات)، ص123.

14) ابن منظور: لسان العرب، (تق خالد رشيد القاضي)، ج15، الدار البيضاء، بيروت، 2006م.

-ح -

15) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت ط1،1986.

-ز -

16) زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة (د.ت).

- ش-

17) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 11 (د.ت).

18) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ط12، (د.ت).

-ط-

19) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،2006م.

20) طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، مصر، (د.ت).

-ع -

21) عمر فروخ : ابن الرومي ، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ط2، 1949م.

22) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ج1، دار العلم للملايين،بيروت، ط4،1981.

23) عن شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي دار دجلة، عمان، ط1، 2008م.

24) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت، ط2 ، 1984م.

25) محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر 2009.

26) محمد موسى الوحش: موسوعة أعلام الشعر العربي، دار دجلة، عمان 2008.

27) محمود عباس العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2 ، 1991.